

ديزيه سقال

الأعمال الجديدة الكاملة

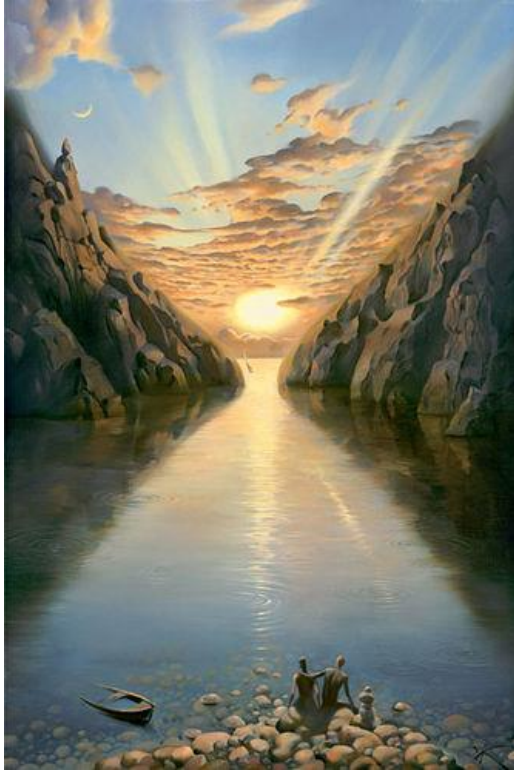


الجزء الأول

٢٠١٨

ديزيره سقال

باب النور



٢٠١٨

- ١ -

خارجٍ من شُجوني
إلى زَمَني.

يُفْتَحُ الوَقْتُ نَافِذَةَ العُمُرِ حَوِي
وَيَسْكُنُنِي لِحِظَةً

لِأَرَانِي وَحَدِي

وَقَدْ لَوَّنَ القَلْبَ حُزْنٌ ثَقِيلٌ
أَحَارِبُ فِيَّ أَنْطِفَائِي،

وَأَنْسُجُ

مِنْ نَبْضِ تِلْكَ الَّتِي

لَوَّنَ المَوْتَ بِسَمَتِّهَا

مُسْتَحِيلَ رَجَائِي،

وَأَقْبِعُ فِيَّ كَسِيرًا... ذَلِيلًا...

فَلَا شَيْءَ حَوْلِي
 يُضِيءُ كِيَانِي،
 وَلَا شَيْءَ يُرْجِعُ لِي صَحْوَتِي
 أَوْ يَرُدُّ أَنْقِبَاضَ الزَّمَانِ
 كَوَحْشٍ يُقَطِّعُ لَحْمِي،
 وَيَشْرَبُ رُوحِي،
 وَيَرْفُدُّ فِي دَمْعَاتِي
 أَلْصَبَاحَ الْقَتِيلِ...
 خَارِجٌ مِنْ شُجُونِي
 إِلَى زَمَنِي.
 تَشْرُدُ الذَّاتُ فِي الْعُمْرِ،
 فِي وَحْدَةِ الْيَأْسِ،
 مُثْقَلَةً الْعَيْنِ، عَمِيَاءَ
 مِثْلَ مَسَاءٍ بِلَا أَنْجُمٍ
 صَبَّ قُبَّتَهُ فَوْقَ رُوحِي

لِيَخْنُقَهَا،
 وَتَضَاحَكَ فِي الْعَبَثِ
 وَهُوَ يَضْرِبُ حَافِرَهُ
 فِي امْتِدَادِ الْجَثِّثِ...
 وَتَرَأَى الْمَكَانُ كَقَبْرِ مَدِيدِ
 تَحَصَّنَ بِالْمَوْتِ.
 لَيْسَ سِوَى الصَّمْتِ
 فِي عُمْرِي الْمَتَكَسِّرِ.
 لَيْسَ سِوَى الْبَرْدِ
 فِي عَتَمَاتِ الدُّجَى.
 كُلُّ شَيْءٍ مَوَاتٌ...
 وَأَمَانِيَّ صَحْرَاءُ مُثَقَّلَةٌ بِالْجَلِيدِ
 تَهَاوَتْ
 عَلَى مَدِّ هَذَا الْفَرَاغِ الثَّقِيلِ...
 تَهَاوَيْتُ

فِي رُغْبٍ لَيْلٍ تَصَفَّحَ،
إِذْ ضَمَّنِي، بِالْحَدِيدِ...
تُرَى أَنْتَصَرَ الْمَوْتُ بَعْدَ عَنَاءٍ،
لِيَأْكُلَ كُلَّ زَمَانِي؟
كُلُّ شَيْءٍ تَوَشَّحَ بِالصَّمْتِ،
وَالْحُزْنُ حَلًّا
لِيَكْسِرَ فِيَّ كِيَانِي...

ثُمَّ جِئْتُ مِنَ الصَّلَوَاتِ ...
فَضَاءَتْ بِقَلْبِي دُرُوبٌ،
وَمَا أَدْرَكَتُ ذَاتِي الضَّائِعَةَ
أَنَّ رُوحَ السَّمَاءِ
رَمَتْكَ إِلَى رُوحِي الْجَائِعَةَ.
وَمَا كُنْتُ خَارِجَ ذَاتِي،
وَلَكِنِّي،
حِينَ كَسَّرَنِي الْحُزْنَ،
مَا عُدْتُ أُبْصِرُ
فِي ظُلْمَةِ الْقَلْبِ شَيْئًا
سِوَى الْفَاجِعَةِ.

وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي أُنْدَفَقْتُ
 أَخْرَجَتْكَ إِلَيَّ،
 وَرَدَّتْ بَرِيقَ الرَّجَاءِ
 إِلَى رُوحِي الْهَاجِعَةِ.
 كُلُّ شَيْءٍ تَعَيَّرَ...
 لَكِنِّي
 كُنْتُ مَا زِلْتُ مُسْتَعْرِقًا
 فِي ضِيَاعِ الْأَمَانِي...
 وَكُنْتُ أَرَى كُلَّ ثَانِيَةٍ
 مِنْ زَمَانِي
 يُكْسِرُهَا الْأَمُّ الْمَتَفَتِّحُ
 فِي زَهْرَاتِ الْغِيَابِ...
 هَكَذَا
 أَنْفَتَحَ الْعُمُرُ

مِثْلَ كِتَابِ الْحَيَاةِ
 لِأَمْشِي إِلَيْكَ،
 وَأَقْرَأَ مَا فِي الْكِتَابِ
 فَأَرْقِي مِنَ الظُّلُمَاتِ
 إِلَى النُّورِ...
 أَمْشِي إِلَى دَاخِلِي
 فَتَمُدِّينَ كَفِّكَ نَحْوِي
 وَأُمْسِكُهَا...
 لِنَطِيرَ مَعًا
 نَحْوَ مَا يَجْعَلُ الْكُونَ كَوْنًا...
 وَكُنْتُ يُحِبُّكَ الْحُزْنَ
 كَاللُّبِّ دَاخِلَ قَشْرَتِهِ،
 وَسَمِعْتُ السُّكُوتَ
 يَرِفُّ جَنَاحَاهُ فِيكَ،
 فَأَقْفَلْتُ عَيْنَيْكَ عَنْ عَالَمِ النَّاسِ،

أَفَقَلْتِ قَلْبِكَ عَنْ كُلِّ صَوْتٍ،

وَعَنْ كُلِّ نَبْضٍ يُمَدُّ إِلَيْكَ... ..

وَأَلْقَيْتِ ظِلَّ الْغِيَابِ عَلَيْكَ... ..

وَلَكِنَّ حُزْنِي

أَعَادَ إِلَيْكَ الْحُضُورَ،

فَشَرَعْتَ بَابَ الْفُؤَادِ

لِتُشْرِقَ شَمْسُكَ فَوْقَ رَمَادِي،

فَأُبْعَثَ مِنْ ظُلُمَاتِ الرَّمَادِ... ..

وَتَتَّبَعِينَ بِدَوْرِكَ

فِي النُّورِ

كَيْ نَتَجَلَّى مَعًا،

بَعْدَ أَنْ كَسَرَ النُّورُ أَحْزَانَنَا،

وَأَمْتَشَقْنَا الرَّجَاءَ الَّذِي غَابَ عَنَّا.

هُوَذَا الْيَوْمَ يَبْدَأُ مِنَّا

كِتَابُ الزَّمَانِ الْجَدِيدِ

لِنَمْسَحَ بِالنُّورِ
مَا خَلَّفَ الْمُوتُ فِينَا،
وَتَبْدَأَ عَهْدَ الشُّرُوقِ الْمَدِيدِ...

- ٢ -

كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

ظِلُّ مَلَائِكَةٍ

يَشُدُّ إِلَيْهِ يَدَيْنَا،

وَيُعْرِفُنَا فِي ابْتِسَامَاتِهِ،

بِمَسْحِ الْحُزْنِ عَنْكَ،

وَيَكْسِرُ وَحْدَتِكَ النَّامِيَةَ...

وَيُضِيءُ بَعِيَّتِي

كُلَّ السَّمَاوَاتِ...

يَرْفَعُ عَنِّي ظِلَامَاتِ أَيَّامِي الْعَاتِيَةِ،

فَتَصِيرُ الْحَيَاةُ

عَنَاقِيدَ حُبٍّ وَرَهْوٍ...

وَكَانَ يُعَرِّدُ فِي النُّورِ...
 لَكِنَّهُ، فَجْأَةً، غَابَ،
 فَأَنْطَفَأَ النُّورُ فِيَّ،
 وَضَيَّعْتُ أُعْرُودَةَ الزَّهْوِ
 فِي الْوَحْدَةِ الْقَاسِيَةِ.
 وَأَنْكَفَأْتُ إِلَيَّ...
 أَنْكَفَأْتُ وَحِيدًا،
 لِيَفْتَحَ فِيَّ الْأَسَى
 بَصْمَةً مِنْ لَهَيْبِ مُمَيَّتٍ؛
 وَمَا عُدْتُ أَعْرِفُ
 كَيْفَ أَرَى النُّورَ،
 أَوْ كَيْفَ أَصْنَعُ
 مِنْ عُمْرِي الْمَتَهَدِّلِ
 نَافِذَةً لِلرَّجَاءِ...
 وَصَلَّيْتُ... صَلَّيْتُ...

حَتَّى أَنْتَهتْ صَلَوَاتِي،
 وَمَا عُدْتُ أَعْرِفُ
 أَيْنَ حُدُودُ السَّمَاءِ!
 وَلَكِنَّ قَلْبَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِي غَابَ
 زَحْزَحَ عَنِّي ظَلَامِي،
 وَمَدَّ إِلَيْكَ يَدَيْهِ،
 فَجِئْتُ مِنَ الصَّلَوَاتِ...
 أَرَقًّا مِنَ النُّورِ،
 لَمَلَمْتُ فِي حُطَامِي
 وَقَبَّلْتُ دَمْعِي
 لِأَغْلِبَ ظِلْمًا نَكْسَارِي الثَّقِيلِ،
 وَأَكْسِرَ سُورَ الْقِتَامِ.
 خَرَجْتُ إِلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ
 لِيُرْتَعِدَ الْمَوْتُ، بَعْدُ،
 وَصِرْتُ الْقَصِيدَةَ

حِينَ يَشْفُ كِيَانِي
وَيَصْعَدُ نَحْوَكِ
فِي قِمَمِ الْقَلْبِ،
خَارِجَ هَذَا الزَّمَانِ...
تَوَارَيْتُ فِيكَ...
وَعَبَيْتُ... وَعُدْتُ...
وَلَكِنْ
تَرَكْتُ بَعَيْنَيْكَ أَنْتِ الْكِيَانُ.

هَكَذَا أِبْتَدَأَ الْوَقْتُ
حِينَ التَّقِينَا،
وَهَاجَرْنَا الْيَأْسُ بَعْدَ عِنَادٍ...
وَأَخْرَجَكَ الْعِشْقُ نَحْوِي،
فَعَمَدَكَ الضَّوْءُ،
وَأَنْدَلَعَ الْفَرْحُ الْمَتَشَطِّئِي
لِيُورِقَ فِيْنَا الدُّهُولُ،
وَعُغِبْنَا وَعُذْنَا...
وَأَشَعَلْنَا التَّوْفُقُ حَتَّى أَنْتَشِينَا،
وَمَهَّدَ خَطْوَتَنَا
فِي الْأَمَانِي الْقَبُولِ...
وَطَرْنَا عَلَى جَانِحِ الْعِشْقِ

نَفْتَحُ آفَاقَنَا
لِصَبَاحِ بَتُولٍ.
كُلُّ شَيْءٍ سِوَانَا غِيَابٌ،
وَنَحْنُ حُضُورٌ
بِقَلْبِ الزَّمَانِ الْجَدِيدِ،
وَعَيْنَاكِ أَنْتِ سَمَاوَاتُ نُورِي،
أَغْيَبُ بِهِ فِي بَرَارٍ يُحَاصِرُهَا الْحُسْنُ،
مِنْ عَالَمٍ لَيْسَ فِيهِ أَفُولٌ...
فَمَاذَا أُرَدُّدُ فِي لَحْنِ أَنْشُودَتِي
بَيْنَ حَرْفٍ وَحَرْفٍ،
وَمَاذَا تُرَانِي أَقُولُ؟

- ٣ -

وَجْهُكَ الْآنَ عُمْرِي الْجَدِيدُ،
أَطِيرُ بِهِ

فِي سَمَاءِ الْفُتُونِ الشَّرِيدِ.

وَجْهُكَ الْآنَ

شَمْسٌ تُطِلُّ عَلَيَّ مِنَ الْقَلْبِ،

تُشْرِقُ فَوْقَ كِيَانِي،

وَتَحْمِلُ وَعَدًّا جَدِيدًا...

وَجْهُكَ الْآنَ عُمْرِي،

وَرَوْحُكَ وَعَدُّ

بِأَنَّ الْحَيَاةَ تَعُودُ،

وَجِسْمُكَ خَارِطَةٌ لِلدُّهُولِ الْمَصْفَى

يُحَلِّقُ بِي فِي فِضَاءِ الْبِدَايَاتِ

حَيْثُ نُصَلِّي
 وَنَعْرَسُ رَايَةَ نَشُوتِنَا
 عَالِيًا... عَالِيًا...
 فِي الدُّهُولِ المِطْلِّ...
 عَالَمٌ يَبْدَأُ الْآنَ مِنَّا،
 وَحُلْمٌ بَتَوَلُّ يُشَيِّدُ وَاقِعَنَا،
 وَيَنَامُ عَلَى قَلْبِكَ الْبِكْرِ.
 كُنْتُ أَنْتِظَارَكَ
 حِينَ أَنْسَحَبْتِ إِلَى دَاخِلِ القَلْبِ
 وَحَدَاكَ،
 فَأَنْغَلِقَ العُمُرُ فِيكَ،
 وَرُحْتِ تُغْنِينِ لِلْعِشْقِ
 فِي مَعْبَدِ الظِّلِّ...
 كُنْتُ أَنْتِظَارَكَ
 مِنْ دَاخِلِ الفَرَحِ المِسْتَهَلِّ

لِنَخْرُجَ مِنْ رِثَةِ الْوَقْتِ
زُفْرَةَ عِشْقٍ طَوِيلٍ
بِلَوْنِ الْفَرْخِ...
وَنِعَانِقَ أَيَّامِنَا،
نَتَطَايِرُ شَيْئًا فَشَيْئًا كَمِثْلِ الزَّمَانِ،
نَذُوبُ مَعًا،
ثُمَّ نَوْلِدُ زَهْوًا طَوِيلًا
عَلَى ظَهْرِ قَوْسِ فُرُخٍ...
يَبْدَأُ الْعُمُرُ بِكُرًّا،
كَأَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي فَاتَ
كَوْنَنَا بَعْدَ نَوْمٍ،
فَصَارَ الْحُضُورُ الْجَدِيدُ
أَنْخِطَافًا لِرُوحِي
إِلَى قَلْبِكَ الْمَتَّجِلِّي
فَيَبْدَأُ عَالَمُنَا مِنْ صَفَاءٍ.

أَنَا الْآنَ هَاجَرْتُ ذَاتِي إِلَيْكَ،

وَسَرَّعْتُ رُوحِي،

لِيَدْخُلَهَا نُورُ قَلْبِكَ،

يَحْمِلُنِي مِنْ تُرَابِي إِلَيْهِ

فَيَبْدَأُ عَهْدَ الْبَهَاءِ.

كُلُّ شَيْءٍ تَجَلَّى بِنَا

خَارِجَ الذَّاتِ،

وَالشَّمْسُ كَوَّهَا عَشْفُنَا...

فَلِمَنْ عَيْرِنَا

يَفْتَحُ الْوَقْتَ شُبَّاكَهُ

فِي خَفَاءٍ؟

وَلِمَنْ عَيْرِنَا

يَقْرَأُ الْفَجْرُ آيَاتِهِ،

وَبِنَا كُلُّ هَذَا السَّنَاءِ؟

عِنْدَمَا أُنْحَسِرَ الْحُزْنَ عَنَّا
 وَشَرَعْتَ بَابَ فُؤَادِكِ لِي
 كُنْتِ خَارِجَةً مِنْ سُبَاتٍ طَوِيلٍ،
 يُحَاصِرُكَ الْقَلْقُ الْمَتَفَتِّحُ
 حَوْلَ خُطَاكَ،
 وَيَخْنُقُ فِيكَ السَّعَادَةَ،
 يَخْنُقُنَا بِتَنَاقُضِهِ،
 وَيُجْوِلُ ضَوْءَ الْحُبُورِ
 دُجَى فِي سَمَاكِ.
 يُقَطِّعُ فِيكَ وَفِيَّ الْقَلْقُ
 جِسْرَ الْفِتْنَاءِ،
 فَيَصِيرُ الضِّيَاءُ الَّذِي كَانَ فِينَا بَرَقَ

عَبَثًا فَارِعًا،
 وَيَصِيرُ الْوِصَالُ الَّذِي مَدَّهُ الْعِشْقُ
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 ظِلًّا سَرَابًا.
 كُلَّمَا حَضَرَ الْقَلْقُ الْمُسْتَدِيمُ بِقَلْبِكَ
 حَبَّاتِهِ،
 ثُمَّ عُدْتِ إِلَى غَلَسِ الْوَقْتِ
 تَحْتَبِعِينَ...
 كَأَنَّ أَمَانِيكَ صَارَتْ ضَبَابًا،
 وَكَأَنَّ الْمَدَى
 حَوْلَ قَلْبِي وَقَلْبِكَ
 يَمُّ يَهْيِجُ،
 وَدَعَسَ الْخُطَى
 بَيْنَ وَرْدِ الْحُبُورِ
 يُغَطِّيهِ ثِقَلُ التُّرَابِ...

كُلَّمَا حَضَرَ الْقَلْبُ
أَنْفَجَرَ الْخَوْفُ فِيكَ
لِيَمْسَحَ مَا رَسَمْتَهُ الصَّلَاةُ
مِنَ الضَّوءِ
فِي وَهْجِ عَيْنَيْكَ.
كَانَ الصَّرَاعُ أَمْرًا عَلَى الْقَلْبِ
مِنْ زَعَزَعَاتِ الْحَرَابِ،
يَفْلُقُ الذَّاتَ ذَاتَيْنِ:
وَاحِدَةً مِنْ ضِيَاءِ،
وَأُخْرَى مُجَلَّلَةً بِسَوَادِ الْعَذَابِ.
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ قَلْبِي
يُصَارِعُ هَذَا الْعَذَابَ الطَّوِيلَ
لِيَسْكُبَ فِيكَ نَبِيذَ التَّحَرُّرِ
مِنْ خَوْفِكَ الْمَتَسَلِّلِ كَاللِّصِّ؛
لَكِنِّي

لَمْ تَصُدَّ انْطِلَاقَةَ قَلْبِي الْجِرَاحُ،
وَعَالِبَتْهَا،
فَتَحَرَّرَ مِنْهَا فُؤَادُكَ،
وَأَزْتَدَّ عَنْكَ أَسَاهُ،
وَأَخْرَجَكَ الْعُمُرُ حُرَّةً،
وَبِكْرًا تَشَهَّتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ...
وَعُدْتِ كَمَا كُنْتِ
قَبْلَ أَنْسِحَابِكِ
مِفْتَاحَ فِرْدَوْسِكِ الْمُسْتَعَادِ
يُفْتَحُ نَوْرَ السَّمَاءِ،
وَيَنْشُرُ قَلْبَ الْإِلَهِ
بِهَذِي الْجِرَّةِ...

- ٤ -

عَرَّشَ الْوَعْدُ فِي فَجْرِنَا،

وَتَفَتَّحَ فِي دَرْبِنَا

يَا سَمِينُ الْأَمَلِ.

كَانَ قَلْبُكَ يَبْسِمُ لِلضَّوءِ

وَهُوَ يَهْلُ عَلَىكَ،

وَيَرْفُصُ بَيْنَ الْقُبُلِ.

كُلُّ شَيْءٍ تَجَلَّى لَنَا

أَبْيَضًا مِثْلَ ثَلَجِ الْبِدَايَةِ،

وَالْمُسْتَحِيلُ تَكَسَّرَ

بَيْنَ خُطَانَا.

لَمْ يَعُدْ فِي حُبُورِ السَّنَاءِ سِوَانَا.

كُلُّ شَيْءٍ تَعَيَّرَ
 بَيْنَ دُجَىِ الْخَوْفِ
 وَالزَّبَقِ الْمَتَفَتِّحِ حَوْلَ رُؤَانَا.
 كُلُّ خَوْفٍ تَصَدَّعَ
 حِينَ رَسَمْتَ الْقَرَارَ...
 وَكَانَتْ بَدَايَةُ فِرْدَوْسِنَا
 مِنْ دُهُولِ الْأَمَانِي
 وَمِنْ أَلْقِ التَّوْقِ
 يَخْرُجُ بَيْنَ شُقُوقِ الزَّمَانِ.
 لَمْ يَعُدْ فِيكَ
 غَيْرُ شُرُوقِ
 يُكَاشِفُهُ أَمَلٌ
 تَسْتَقِرُّ عَلَيْهِ مُنَانَا.
 كُلُّ شَيْءٍ تَعَيَّرَ...
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ

هذا القبول العميقُ
 الَّذِي يَجْعَلُ الذَّاتَ شَفَافَةً
 كَالضِّيَاءِ الرَّقِيقِ...
 وَأَنْتِ أَنْخِطِافِي
 إِلَى أَلْقٍ خَارِجٍ مِنْ سَنَانَا...
 وَأَنْتِ أَنْتِيسَامَةٌ وَعَدٌّ جَدِيدٌ
 يَخُطُّ بِرُوحِي قَصِيدَتَهُ،
 وَيُورِّعُ بَيْنَ ثَنَايَا كِيَانِي
 حَيَاهُ أَرْقٍ وَأَجْمَلِ
 فِي كُلِّ عُمْرِي...
 وَيَفْتَحُ لِلضُّوءِ
 قَلْبِي وَصَدْرِي،
 وَيَرْسُمُ فِي عَيْنِي الدَّاهِلَةَ
 عَالَمًا مِنْ دُهُولِ،
 وَسَيْلَ بُحُورِ

تَتَابَعُ كَالْقَافِلَةَ...
أَنْتِ هَذَا الذُّهُولُ الْجَمِيلُ
الَّذِي يُخْرِجُ الشَّعْرَ
مِنْ قَلْبِ حَبْرِي
وَيَأْخُذُنِي فِي أَنْخِطَافَاتِهِ،
فَأَرَانِي شَرِيدًا
عَلَى هَمَسَاتِ الحُبُورِ،
وَيَحْمِلُنِي الوَقْتُ
خَارِجَ بَحْرِ الثَّوَانِي،
وَيَزْرَعُنِي الشَّعْرُ بَيْنَ السُّطُورِ...
فَكَيْفَ أَعُودُ
إِلَى الأَرْضِ، بَعْدُ،
وَقَدْ طَهَّرَ الذَّاتَ هَذَا العُبُورُ؟

تُمَرُّ النُّجُومُ
 لِتَنْهَلَ مِنْ نَوْرِ عَيْنَيْكَ أَنْوَارَهَا،
 وَهِيَ تَتْرُكُ خَلْفَ حُطَاهَا
 بَرِيْقَكَ
 يَغْرُقُ فِي عَمَمَاتِ الأَرِيحِ...
 لِيَنْفَسِحَةَ القَلْبِ
 أَنْ تَقْرَأَ القَلْبَ
 سَطْرًا فَسَطْرًا...
 وَتَحْلُمَ بِي...
 لِيَنْفَسِحَةَ القَلْبِ
 أَنْ تَتَفَتَّحَ
 مِلءَ كِيَانِي،

وَتَنْسُجَ أَحْلَامَهَا فِي فُؤَادِي،

وَلِي

أَنْ أَدُوبَ بِهَذَا النَّسِيجِ.

وَتَشْهَقُ حِينَ تُتْلَمِسُهَا

نَشْوَةُ الرُّوحِ...

تَشْهَقُ حَتَّى تَدُوبَ

عَلَى قِمَّةِ الحُلْمِ،

تُزْحِي عَلَيَّ سِتَارَ أَنْخِطَافِهَا

لِأَوْسَدِهَا كُلِّ عُمْرِي،

وَأَرْجَعُ فِي مُقْلَتَيْهَا

صَبِيًّا صَغِيرًا

يَطِيرُ إِلَيْهَا،

وَيَتْرُكُ بَيْنَ يَدَيْهَا

زُهْرَ التَّمِيّ

تَحْمَعَنَ حَوْلَ بَنَفْسِجَةٍ

لَخَصَّتْ كُلَّ عِطْرِ الرَّهُورِ ...

وَمَا كَدَّسَتْهُ السَّمَاءُ عَلَيْهَا

مِنْ صَفَاءِ الْأَعَالِي،

وَكُلَّ جَمَالِ الْعُصُورِ ...

يَكْتُبُ الْفَجْرُ فِيكَ قَصَائِدَهُ،
وَيُطِلُّ عَلَى عُمْرِنَا الشُّعْرُ - يُلْهِمُهُ عُمْرِنَا،
وَتَسِيلُ الْقَصِيدَةُ مِنْهُ
حُرُوفًا أَرَقَّ مِنَ النُّورِ.
أَنْتِ الْقَصِيدَةُ
حِينَ خَرَجْتِ مِنَ الْقَلْقِ الْمُسْتَمِرِّ
إِلَى شَمْسِ قَلْبِي،
فَأَخْرَجْتِ مِنِّي الْأَسَى،
وَتَوَسَّدْتَنِي حِينَ نُمْتُ،
وَأَنْتِ
تَقَطَّرْتِ فِي كُوبِ رُوحِي،
وَدُبَّتِ

وَصِرْتِ رَحِيقَ السَّمَاءِ

وَوَخَّرَ الصَّلَاةَ ...

وَصِرْتِ

جُمُوحَ الْمَلَائِكِ الَّذِي أَخْرَجَ الْكَوْنَ

مِنْ عَزَلَةٍ.

لَيْسَ فِيكَ سِوَايَ،

وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ

عُرْسٌ مِنَ النُّورِ.

لَا شَيْءَ يَفْصِلُنَا، بَعْدُ،

كُلُّ الْأَمَانِي

حُقُولٌ مِنَ الْأُغْنِيَاتِ،

وَأَنْتِ خَرَجْتِ مِنَ الْحُلْمِ نَحْوِي

وَأَخْرَجْتِنِي مِنْ ضِيَاعِ الْأَسَى

لِأَكُونَ عَرِيْسًا،

وَزَهْوًا يُغَيِّ جُمُوحَ الْحَيَاةِ ...

- ٥ -

يُنزِلُ الوَقْتُ مِنْ بَيْتِهِ،
وَيُجَالِسُنِي،
مُنْذُ أَدْرَكَ أَنَّكَ شَرَعْتَ بَابَكَ لِي،
وَسَكَنْتَ كِيَانِي.
يُنزِلُ الوَقْتُ
مِثْلَ أَخٍ وَصَدِيقٍ
يُكَلِّلُ قَلْبِي
بِمَا يَجْعَلُ العُمَرَ مُنْتَشِياً
فِي الأَمَانِي.
وَأَنْتِ عَلَى بَسْمَةِ الرُّوحِ
تَأْوِي إِلَيْكَ أَمَانِيَّ

مِثْلَ الْعَصَافِيرِ،
 يَحْمِلُهَا الْأَلْقُ الْمَتَفَتِّحُ
 فَوْقَ الزَّمَانِ وَفَوْقَ الْمَكَانِ...
 كُلُّ شَيْءٍ تَرَأَى لِعَيْنِي فِيكَ:
 أَنْكَبْتُ عَلَى الرُّوحِ أَصْفُلُهَا،
 وَأُرْصِعُ عُمْرِي بِعَيْنَيْكَ،
 أَرْزَعُ فِيهِ أَنْتِسَامَكَ
 كَيْ يُثْمِرَ الْعِشْقُ حُلْمًا
 يَصِيرُ أَنْبِثَاقَ حَيَاةٍ،
 وَأَسْكُنَ رَوْحَكَ حَتَّى أَنْتَهَاءِ الزَّمَانِ...
 كُلُّ شَيْءٍ تَرَأَى لِعَيْنِي فِيكَ:
 رَأَيْتُ الْمَدَى خَارِجًا مِنْ دُهْوِلِ طَوِيلٍ،
 وَخَطْوَاتِنَا سَفْرًا فِي مَقَاطِعِ أُعْرُودَةِ الْعِشْقِ...
 وَالْأَرْضَ مِنْ حَوْلِنَا
 مَدَّهَا الْفَرْحُ الْمَتَكْوِّمُ

سَجَادَةٌ مِنْ بَهَاءِ.
كُلُّ شَيْءٍ تَرَاءَى لِعَيْنِي:
كَانَتْ حُدُودُ الصَّفَاءِ
قَلْبِكَ الْمَتَفَتِّحِ فِي قُدْسِ رُوحِي،
وَعَيْنَاكِ أَنْتِ حُضُورِي
يُزِينُنِي لِي وَجْهَةَ الْمُنْتَهَى
وَزَوَايَا السَّمَاءِ...

صارَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 سِرٌّ صَفَاءٍ غَرِيبٍ
 يُحَوِّلُنَا وَاحِدًا أَحَدًا.
 صِرْتِ أَنْتِ أَنْفِتَاحَ الْحَيَاةِ
 عَلَى قَلْبِي الْبِكْرِ
 بَعْدَ أَنْغْلَاقِ طَوِيلٍ...
 وَلَا شَيْءَ فِي رَوْحِكَ الْوَارِفَةِ
 غَيْرُ نَوْرِ رَقِيقٍ
 تُحِيطُ بِهِ نَشْوَةٌ جَارِفَةٌ؛
 وَعَيْنَاكَ سِرِّي
 أَرَى فِيهِمَا كُلَّ تَارِيخِنَا الْمَتَلَوْنَ بِالشُّوقِ،
 أَتْرُكُ كُلَّ جُمُوحِي

وَأَرْحَلُ...
 يَحْمِلُنِي فِيهِمَا أَرْجُ مِنْ ضِيَاءِ
 إِلَى فَوْقُ،
 أَلْوَانُهُ مِنْ بَرِيقِ طُمُوحي؛
 وَأَقْرَأُ ذَاتِي بِعَيْنَيْكَ،
 أَكْتُبُهَا كَقَصِيدَةِ شِعْرِ...
 وَأَسْكُنُ فِيكَ
 لِأَكُلَ تُفَّاحِ فِرْدَوْسِكَ الْمُسْتَعَادُ...
 وَتَبْقَيْنَ أَنْتِ
 أَنْخِطَافًا يَطِيرُ بِرُوحِي
 إِلَى قِمَّةِ الْخَلْقِ،
 يَفْتَحُ بَابَ الْأَمَانِي
 عَلَى أَفْقٍ خَارِجٍ
 مِنْ أَمَانِي الْمِدَادُ...
 وَتَبْقَيْنَ صَحْوَةَ فَحْرِ

يُعِيدُ إِلَيَّ صَبَاحَ الْحَيَاةِ

وَدَفْقَ الرَّيِّعِ

يُكَلِّئُنِي بِالذُّهُولِ

وَأَحْمِلُ مِنْهُ

رَيْنَ الْخُبُورِ الْبَدِيعِ.

- ٦ -

زَيَّنْتِكِ الصَّلَاةُ
 بِمَا يَجْعَلُ الْقَلْبَ أَكْثَرَ نَوْرًا،
 فَأَوْعَلَ فِي الْعِشْقِ...
 كُنْتِ أَهْتِدَاءَ الْخُطَى
 فِي طَرِيقِ أَنْخِطَافِي،
 وَكُنْتِ عُبُورِي
 إِلَى سِدْرَةِ الْمَلَكُوتِ،
 وَكُنْتِ اعْتِرَافِي
 بِأَنَّكَ أَرْجُوحةَ الْفَرَحِ الْمَتَهَدِّلِ فَوْقِي،
 تَشُدُّ فُؤَادِي
 إِلَى حَيْثُ يَنْبَثِقُ الْكَوْنُ

مِنْ لَمْسَةٍ وَأَنْكِشَافٍ...
 وَحِينَ أَنْحَدَرْتِ إِلَى خَافِقِي
 كَشَفَ النُّورُ
 عَنْ وَجْهِهِ فِيَّ،
 وَأَنْفَتَحَتْ
 عَيْنُ هَذَا الْفَضَاءِ
 عَلَى تَرْفٍ طَافَ فِي الْعَيْنِ:
 لَا شَيْءٌ يُشْرِقُ مِنِّي،
 وَبَيْنِي وَبَيْنَ السَّمَاءِ
 هَالَةٌ مِنْ صَفَاءٍ،
 وَعُجْبَارٌ مِنَ الضُّوئِ
 يَلْتَفُّ حَوْلِي،
 وَيَرْفَعُ قَلْبِي إِلَيْكَ
 فَيَسْجُدُ بَيْنَ يَدَيْكَ،
 وَيَرْكَعُ وَهُوَ يُصَلِّي،

وَيَشْهَدُ
 كَيْفَ يَهْلُ الضِّيَاءُ عَلَيْكَ ...
 زَيْنَتِكَ الصَّلَاةُ بِقَلْبِي
 فَأَزْهَرَ فِيكَ،
 وَعَادَتْ إِلَيْهِ الْحَيَاةُ
 لِيُشْرِقَ مِنْ فَوْقُ،
 مِنْ قِمَّةِ السَّمْتِ،
 بَيْنَ مَلَائِكَةِ اللُّونِ
 وَالْأَبْيَضِ الْمَزْدَهِيِّ.
 زَيْنَتِكَ الصَّلَاةُ
 بِرَائِحَةِ الْعِشْقِ وَالْفَرَحِ الْمُتَأَلَّقِ.
 صِرْتُ أَنْعَتَاقَ الْأَمَانِي
 مِنْ الْقَيْدِ،
 صِرْتُ غِنَاءَ الْحُبُورِ،
 وَرُفْرَفَةَ الْفَرَحِ الْمُصْطَفَى

يَتَمَتَّحُ فِي خَافِقَيْنَا
غُيُومَ طُيُوبٍ وَنُورٍ...
وَفِيكَ أَنْتَهَتْ رِحْلَتِي،
وَاجْتَمَعْتُ بِدَاتِي،
فَأَيَّقَظْتُ أَحْلَامَكَ النَّائِمَاتِ
لِتَعْدُوَ مَحْضَ حُضُورٍ...
أَرَاكِ
وَقَدْ فَتَحَتْ لِي يَدَاكِ
بَابَ نُورٍ
يُشْرِعُ لِي
ثَمَرَ الْوَجْدِ
أَقْطِفُهُ فِي سَمَاكِ...
وَلَا شَيْءَ، بَعْدُ، سِوَانَا:
بِحِمَّتَيْنِ تَأَلَّقَ نُورُهُمَا
حِينَمَا أَشْتَبَكْتَ فِي ذُهُولِ يَدَانَا.

لَيْسَ فِي الْحُلْمِ شَيْءٌ سِوَانَا
يَنْشُرُ الْوَعْدَ مِنَّا أَرِيحُ الرَّجَاءِ،
يَفْتَحُ الْمُنْتَهَى
فِي خُطَانَا،
وَيَزْرَعُ فِي الْأَرْضِ
نُورَ السَّمَاءِ...

٢٠١٧ / ٧ / ١٧ - ١٠

ديزيره سقال

كتاب الرجاء



٢٠١٨

١ - بداية الحكاية

مِنْ قَلْبِ الظَّلَامِ انْبَثَقَ الضُّوْءُ، وَانْسَلَّ إِلَى قَلْبِي.
هَكَذَا بَدَأَتِ الْحِكَايَةُ...

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ غَارِقًا فِي الضُّبَابِ. كَانَتِ
الْأَشْيَاءُ مَائِعَةً مِنْ حَوْلِي، وَالْفَرْحُ يَحْتَرِقُ، وَالنُّورُ أَعْمَى.
يَدَايَ يَغْمُرُهُمَا الشَّوْكَ، وَالزُّهُورُ قَدْ ذَبَلَتْ...
كَانَ الْبَرْدُ يَشُدُّنِي إِلَيْهِ، وَالْفُقْدَانُ يُحَاصِرُ حَيَاتِي،
وَلَا شَيْءَ مِنْ حَوْلِي إِلَّا الْأَسَى وَالْغِيَابَ...

كُلُّ مَا حَوَّلِي فَارِعُ كَالْمَوْتِ!
 كُلُّ مَا حَوَّلِي مُعْتَمِّمٌ، بَارِدٌ، وَالْيَأْسُ يَعْمُرُ الْأَشْيَاءَ
 بِالذُّمُوعِ...

لَكِنَّكَ أَنْبَقْتِ، وَدَيْعَةٌ كَالْأَطْفَالِ، مِنْ قَلْبِ
 الْفَاجِعَةِ، فَأَنْكَسَرْتِ، وَعَادَتْ إِلَى فُؤَادِي خِيوطُ الْأَمَلِ،
 تَمْتُدُّ إِلَيَّ مِنْ كِيَانِكَ الرَّفِيقِ، لِتُخْرِجَنِي مِنْ سِجْنِ الْوَحْدَةِ
 وَالْإِنْكَسَارِ...

نَزَلْتِ إِلَيَّ عَلَى حِبَالِ الشَّجَنِ، فَلَمَمْتِ حُطَامَ
 قَلْبِي، تَجْمَعِينَ مَا أَنْكَسَرَ، وَتَضْمِينَهُ إِلَى قَلْبِكَ الرَّهيفِ،
 بِلا اسْتِئْذَانٍ، لِتَبْدَأَ مَعَهُ قِصَّةَ الْخِطَافِ إِلَى مِعْرَاجِ
 الذُّهُولِ، أَقْوَى مِنَ الْأَلَمِ...

هَكَذَا خَرَجْتِ إِلَيَّ مِنْ أَحْزَانِكَ الثَّقِيلَةِ، بَعْتَةً، وَمَمْ
 أَكُنْ أَرَاكَ، فَسَحَبْتِ مَيِّ مَا كَانَ يَرِبُطُنِي بِالْوَحْدَةِ،

وَرُحْتَ تَرْدِينَ إِلَى قَلْبِي نَوْرَ الْحَيَاةِ، وَتَسْتَمِدِّينَ مِنِّي قُوَّةَ
الاسْتِمْرَارِ.

خَرَجْتَ إِلَيَّ، وَقَدْ خَلَعْتَ عَنكَ ثَوْبَ الْقَلْقِ،
عَارِبَةً إِلَّا مِنَ النُّورِ الَّذِي يُلْقُوكِ، وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ
هَذَا النُّورِ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ حَوْلَكَ، وَلَا أَدْرَكْتُ أَنَّ
عَيْنَيْكَ يُمَكِّنُ أَنْ تَخْتَرِقَا حُجُبَ قَلْبِي، وَتَخْرِجَانِي مِنْ
طَبَقَاتِ الْأَسَى الرَّهِيْبِ، بِالنَّحِطَةِ وَاحِدَةً.

كُنْتُ لِي الْأَمَلَ الْمَفَاجِئِ، فِي عَمْرَةِ الْيَأْسِ الثَّقِيلِ؛
وَكُنْتُ لَكَ الْبَلْسَمَ الْمَفْقُودَ لِجِرْحِكَ الْمَفْتُوحِ.
كُنْتُ لِي النُّورَ الْآتِي مِنْ عَلِيٍّ، يَخْتَرِقُ أَطْبَاقَ
الظَّلَامِ فِي حَيَاتِي؛ وَكُنْتُ لَكَ أُعْنِيَةَ الْفَرَحِ الْمُسْتَحِيلِ،
تَتَنَاهَى إِلَى مَسْمَعِكَ مِنْ دَاخِلِ كِيَانِكَ.

كُنْتُ لِي أَنْبِثَاقَ الْمَعْنَى، مُجَدِّدًا، فِي الْحَيَاةِ
وَالْأَشْيَاءِ؛ وَكُنْتُ لَكَ أَهْزُوجَةَ الْحُبِّ الْأُولَى الَّتِي تَحْمِلُكَ
إِلَى آفَاقِ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ، بَعِيدًا عَنِ حُطَامِ الْعَالَمِ الْمَلِيءِ
بِالْأَنْفَاضِ.

كُنْتُ لِي عَوْدَةَ الرُّؤْيَا، بَعْدَ أَنْ حَجَبَهَا الْمَوْتُ
عَنْ بَصِيرَتِي، وَشَدَّنِي إِلَى عِبَثِ الْفِرَاقِ وَاللَّامَعْنَى؛ وَكُنْتُ
لَكَ سَعَادَةَ الْحَيَاةِ، تَكْتُبُ سَطُورَ الْمَعْنَى عَلَى صَفْحَاتِ
أَيَّامِكَ الْآتِيَةِ.

هكذا بدأتِ الحكايةُ.

لَمْ يَعُْدْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرَ هَذَا التَّوْحُدِ الْمَذْهِلِ، فِي
الْحِطَافِ لَا مَثِيلَ لَهُ، أَبْعَدَ مِنَ الزَّمَانِ الثَّقِيلِ، وَأَرْوَعَ مِنْ

خُيوطِ الشَّمْسِ وَهِيَ تُشْرِقُ عَلَى الدُّنْيَا، لِتَمَلَّأَهَا
بِالحَيَاةِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ هَذَا الدَّهْوِلِ المَدْهِشِ،
يَحْمِلُنَا إِلَى أَقَاصِي الدَّهْشَةِ، لِنَكْتَشِفَ أَعْمَاقَ ذَاتَيْنَا،
وَقَدْ انْحَجَبْنَا بِقِنَاعِ العَادِيِّ وَالمَأْلُوفِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَفَاءِ مُشْرِقِ، لَوْنُهُ
كَالنُّورِ، وَرَائِحَتُهُ أَرْبِجُ الأَغَانِي، تَتَنَاهَى إِلَى مَسَامِعِنَا مِنْ
خَنَاجِرِ المَلَائِكَةِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ قَصِيدَةِ العِشْقِ،
مَعْمُوسَةً بِجِرَاحِ المَعَانَاةِ، مُضْمَخَةً بِلَوْنِ الفَرَحِ الَّذِي
يُيَلْسِمُ الجِرَاحَ، تَرْفَعُهَا نَبْضَاتُ قَلْبَيْنَا نَحْوَ مَذْبَحِ
السَّمَاءِ، لِتَصِيرَ صَلَاةً...

لَمْ يَعُدْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ أَلْقِ أَصْفَى مِنْ رِذَاذِ
النُّورِ فِي قُدَّاسِ الفَرَحِ، وَأَرْوَعِ مِنَ النُّجُودِ قَوْسِ قُزَحِ عَلَى
جَبِينِ الأَرْضِ المَغْسُولِ بِالمَطَرِ...

هكذا بدأت الحكاية...

وَكُنَّا، مَعًا، آتِيَيْنِ مِنْ بِلَادِ الْجِرَاحِ، مُضْعَضَعَيْنِ فِي
غَابَاتِ الْقَلْقِ وَالْأَسَى، لَا يَدَ نُمْسِكُ بِهَا، وَلَا مَكَانَ
نَأْوِي إِلَيْهِ لِيَرْتَاحَ كُلُّ مِنَّا. كُنَّا مَعًا مُتَخَنِنِينَ بِجِرَاحِ
الْفَاجِعَةِ، حَامِلِينَ حُطَامَ الْوَاقِعِ الْمُؤَلِّمِ، فِي مَتَاهَاتِ الزَّمَانِ
الَّذِي صَارَ خَاوِيًّا.

كُنَّا، مَعًا، مُعْتَكِرِي الْأَعْمَاقِ، مُصَدَّعَيْنِ،
هَائِمِينَ فِي مَدَى الْفُقْدَانِ الْوَاسِعِ، نَبْحَثُ عَنْ ذَاتَيْنَا،
وَقَدْ تَشَلَّمْنَا، وَأَتَّخَنَتُهُمَا الْجِرَاحُ...

إِلْتَقَيْنَا حِينَ أَنْهَلَ النُّورُ عَلَيَّ بَصِيرَتَنَا.
إِلْتَقَيْنَا، بَعْتَةً، مَذْهُولَيْنِ، كَأَمَّا الزَّمَانُ تَلَاشَى،
وَالْمَكَانُ مِنْ حَوْلِنَا بَاتَ مَدَى بِلَا انْتِهَاءٍ...

إِلْتَقَيْنَا فِي شَرَارَةِ الْمَفَاجَأَةِ، فِي ذُهُولِ الْوَعْدِ الَّذِي
لَمْ نَعْرِفْ بِهِ، فِي سَلَامِ الرُّوحِ الَّتِي جَمَعَتْ خُطَانَا بَعْدَ
رَحِيلِهَا، وَلَمْ نُذَرِكْ، فِي انْبِثَاقِ قَصِيدَةِ حُرُوفِهَا مِنْ لَحْمٍ
وَدَمٍ، وَسُطُورِهَا تَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ...
وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ، قَطُّ، أَنَّكَ أَنْتِ الْحَلْمُ الْمَخْلَصُ
بَعْدَ الْفَاجِعَةِ، وَلَا كُنْتُ تَعْرِيفِينَ أَنِّي أَنَا الْمَقِيمُ فِي ذَاتِكَ،
بَعْدَ أَنْ صَدَّعَهَا الْفُقْدَانُ الثَّقِيلُ.

هَكَذَا بَدَأَتْ الْحِكَايَةُ،
وَعَادَتْ إِلَيْنَا، مُجَدِّدًا، مَعَالِمُ الطَّرِيقِ.
هَكَذَا انْكَشَفَ الْآتِي لَنَا، قَادَتْ خُطَانَا إِلَيْهِ رُوحُ
يُجَلِّلُهَا السَّلَامُ، تَحْرُسُ دَرْبَنَا مِنْ فَوْقُ، مِنَ السَّمَاءِ...
هَكَذَا انْكَشَفْنَا لَنَا،

وَلَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ أَنَّ أَحَدَنَا نِصْفُ الْآخَرِ، وَأَنَّ
كُلَّ ذَاتٍ مِنْ ذَاتِنَا الْمُلْتَمِّتَيْنِ تَبْحَثُ عَنِ الْتِئَامِهَا، وَقَدْ
جَمَعَتْهَا بِذَاتِهَا سَكِينَةُ الرُّوحِ الْهَائِلَةِ، وَصَفَاءُ مَحَبَّتِهَا،
وَبِرَاءَةُ ذَاتِنَا.

هَكَذَا انْكَشَفْنَا لَنَا،

وَكَانَ انْكَشَافُنَا أَرْوَاعَ نُورٍ فِي عَيْنَيْنَا بَعْدَ سَرَادِيبِ
الْأَسَى، وَأَنْقَى شُعَاعٍ يَشُدُّنَا إِلَيْنَا، لِنَحُطَّ حُرُوفَ قَدْرِ
جَدِيدٍ، وَنَجْعَلَ مِنْ ذَاتِنَا الْمُلْتَمِّمَةِ مِعْرَاجًا إِلَى سَمَاءِ
جَدِيدَةٍ، وَقَصِيدَةً لِلْعَالَمِ الْآتِي...

٢ - فصل الانكشاف

تراءى النور في ذاتينا، فَأَنْكَشَفْنَا.

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سِتَارٌ، وَلَا مَوْعِدٌ، وَلَا حَدٌّ.
 كُلُّ مَا بَيْنَنَا انْفَتَحَ فَجَاءَهُ عَلَى نُورِ الْمَفَاجَأَةِ.
 وَعَرَيْتْ ذَاتَنَا أَمَامَ عَيْنَيْنَا، وَالتَّقَيْنَا فِي أَنْكِشَافِنَا بِلا
 مِيعَادٍ، وَلَا تَدْبِيرٍ...
 وَحَدَّنَا، عَارِيَيْنِ أَمَامَ النُّورِ الْمُتَدَفِّقِ عَلَيْنَا مِنْ
 دَاخِلٍ.

وَحَدَّنَا، عَارِيَانِ أَمَامَ الصَّفَاءِ الْأَثِيرِيِّ الَّذِي يُحِيطُ

بِنَا.

وَحَدَنَا، عَارِيَانِ أَمَامَ مَعْبَدِ ذَاتَيْنَا، نَفْتَحُ رُوحَيْنَا
لِتَتَعَانَقَا، وَتَعْتَسِلَا فِي يَنَابِيعِ النُّورِ الْمَتَفَجِّرِ مِنْهُمَا،
وَجَسَدَيْنَا لِيُنْصَهَرَا فِي نَشْوَةِ الْإِتِّحَادِ.

لَيْسَ بَيْنَ ذَاتَيْنَا سِتَارٌ.

كُلُّ شَيْءٍ شَفَّافٌ كَالنُّورِ؛ وَالصَّفَاءُ الْخَارِجُ مِنَّا
يُنْدَاحُ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي حَوَّلْنَا، وَعَلَى الزَّمَانِ الَّذِي
تَوَالَى فِي قَدَرِنَا الْجَدِيدِ.

كُلُّ شَيْءٍ أَمَامَنَا أَسْتَيْقِظُ، وَارْتَدَى حِلَّةً
جَدِيدَةً، فَتَغَيَّرَتْ مَعَالِمُهُ فِي ضَوْءِ أَنْكِشَافِنَا الْجَدِيدِ.

كُلُّ شَيْءٍ مُضِيٌّ بِنَا مِنْ حَوْلِنَا.

كُلُّ فِكْرَةٍ خَرَجَتْ مِنَ الْحُزْنِ أَمْسَحَتْ بِالنُّورِ،
فَكَسَاهَا فَرَحٌ شَفِيفٌ، وَأَعْتَسَلَتْ مِنَ الْأَسَى وَالشَّجَنِ.

كُلُّ عِلَامَاتِ الْعُرْبَةِ سَقَطَتْ، وَالْغُبَارُ الَّذِي
أَثَارَتْهُ كُلُّ ذَاتٍ مِنْ ذَاتَيْنَا وَهِيَ تُوَجِّهُ وَقِعَهَا أَنْجَلَى،

وَتَكشَّفَ عَنْ قَلْبٍ أَبْيَضَ، رَسَمَتْهُ ذَاتَانِ مُؤْتَلِفَتَانِ، لَا
يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا صِرَاعٌ، وَلَا فَاجِعَةٌ، وَلَا أَضْطِرَابُ كِيَانٍ.
كُلُّ عِلَامَاتِ الْعُرْبَةِ سَقَطَتْ، وَسَقَطَ التَّوْحُدُ
الَّذِي سَكَنَ كِيَانَيْنَا، وَالْأَسَى الَّذِي أَوْرَقَ فِينَا عَبْرَ
الْفَاجِعَةِ.

كُلُّ عِلَامَاتِ الْعُرْبَةِ سَقَطَتْ، وَأَنْبَقَ مِنْهَا
تَوَاصُلٌ لَوْنُهُ كَالْفَرَحِ الْبَاسِمِ، وَرَائِحَتُهُ مِنْ زُهْورِ السَّمَاءِ.
لَمْ يَعْذُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ غَيْرُ هَذَا الْحِسِّ الرَّقِيقِ،
يَعْسِلُ الْكِيَانَ، وَيَرْقَى بِهِ إِلَى آفَاقٍ مُضِيئَةٍ، يُحِيطُ بِهَا
الدُّهُولُ.

لَمْ يَعْذُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ غَيْرُ الْحُيُوطِ الذَّهَبِيَّةِ الْخَارِجَةِ
مِنْ قَلْبَيْنَا، تَتَعَانَقُ فِي الْخِطَابِ الظَّنِّ، وَتَتَأَلَّفُ سَلْمًا
يَرْتَفِعُ بِنَا إِلَى الْأَثِيرِ.

لَمْ يَعُدْ فِيْنَا سِوَانَا —
 غَرِقَ الْعَالَمُ فِي هَذَا الْعِنَاقِ،
 وَتَوَارَى وَجَعُ الْوَحْشَةِ.
 كَانَ الْأَمَلُ النَّابِتُ
 فِي إِثْرِ خُطَانَا
 يَغْسِلُ الْوَاقِعَ
 مِنْ هَوْلِ الْفِرَاقِ ...

لَمْ يَعُدْ فِيْنَا سِوَانَا.
 بَيْنَنَا الْحُلْمُ الَّذِي يَسْكُنُنَا
 نَازِلًا مِنْ فَوْقُ،
 مَتَشَوِّرًا عَلَى قَوْسِ فُرْخٍ ...
 بَيْنَنَا الْحُلْمُ الَّذِي
 يَغْسِلُ بِالنُّورِ مُنَانَا،

وَيُصَقِّي الذَّاتَ فِي مَاءِ الْفَرْحِ... .

إِنْكَشَفْنَا.

وَمَعَ هَذَا، رَجَعَ إِلَى الذَّاتِ بَعْضُ اهْتِرَازٍ مِنْ نِتَارِ
الْمَاضِي، وَأَرْتِدَادَاتِ الْأَسَى الْغَابِرِ، فَأَحَاطَ بِذَاتَيْنَا،
لِيَجْرَحَ بَعْضَ مَا كَشَفَهُ الْفَرْحُ فِيهِمَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُعْطِهُمَا،
وَلَا أَسْتَطَاعَ أَنْ يَغْلُبَ هَذَا الْإِنْكَشَافَ.

إِنْكَشَفْنَا،

وَلَا شَيْءَ يَغْلُبُ النُّورَ الْمُنْدَاحَ مِنَّا، لَا شَيْءَ يَقْهَرُ
إِشْرَافَنَا الرَّائِعَ كَالصَّلَاةِ، وَهُوَ يَتَّسِعُ، أَنَا بَعْدَ آنٍ،
لِيُعْطِيَ لَيْلَ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِنَا، وَيَمْسَحَ غِلَالَةَ الْغُمُوضِ
الَّتِي كَانَتْ أَمَامَنَا.

إِنْكَشَفْنَا.

صَارَتِ الصَّلَاةُ قَصِيدَةً تَخْرُجُ مِنْ قَلْبِنَا إِلَى
السَّمَاءِ، حُرُوفُهَا مِنْ نُورِ عَيْنَيْكَ، وَسُطُورُهَا مِنْ مِدَادِ
قَلْبِي، وَإِيقَاعُهَا مِنَ الْعِشْقِ الَّذِي يَطِيرُ بِنَا نَحْوَ الْأَعْلَى.
صَارَ الْبَوْحُ حَدِيقَةً أَنْخِطَافٍ تَبْدَأُ مِنْ عَيْنَيْكَ
الْمَشْرِقَتَيْنِ، وَتَنْتَهِي فِي كِيَانِي الْمَفْتُوحِ لِنُورِكَ الرَّائِعِ.
صَارَتِ الْكَلِمَاتُ أَنْشُودَةً عُلوِيَّةً، تَنْدَاحُ مِنْ
شَفَتَيْكَ الرَّقِيقَتَيْنِ، لِتَسْكُنَ أُذُنِي اللَّتَيْنِ غَوَتَا بِالْحَانِكِ.

بَيْنَ رُوحِي وَرُوحِكَ
هَذَا الْعِنَاقُ الطَّوِيلُ...
وَالْمَدَى يَتَنَاشَرُ فِيهِ.
كَأَنَّ السَّمَاءَ
رَسَمَتْ، عَبْرَ ذَاتِي وَذَاتِكَ،

أَهْرُوجَةٌ لِلصَّفَاءِ
وَضِيَاءٌ رَقِيقًا، عَلِيلٌ...

بَيْنَ رُوحِي وَرُوحِكِ
كَوْنٌ تَغَيَّرَ،
وَأَنْدَاحٌ فِيهِ الْأَلْقُ.
صِرْتِ أَنْتِ كِيَانِي
أَعَمَّرُ فِيهِ مِنَ النُّورِ ذَاتًا،
وَأَمْسَحُ عَنْكَ غُبَارَ الْقَلْقِ.
تَرَاءَيْتِ فِيَّ، بُعِيدَ انْكِشَافِكِ،
كَوْنٌ رُؤْيَى،
وَمَدَى يَتَعَمَّدُ فِي الحُلْمِ المْتَفْتِحِ،
لَا شَيْءَ، بَعْدُ، سِوَاكِ
يَطِيرُ بِذَاتِي إِلَيْهِ،

ولا شَيْءَ...
 لا شَيْءَ يَسْكُنُنِي
 غَيْرُ عَيْنَيْكَ.
 لا شَيْءَ يَدْفُقُ فِي الْقَلْبِ
 نَوْرَ الْحُبُورِ سِوَاكَ -
 وَمَا فِيكَ غَيْرُ حُبُورٍ وَنُورٍ.
 فَكَيْفَ، إِذَا،
 لا أُزِينُ قَلْبِي بِعَيْنَيْكَ؟
 كَيْفَ، إِذَا، لا أُقَدِّمُ قَلْبِي لِعَيْنَيْكَ،
 أَنْتَرُ حَبِيرَ دَمِي
 فَوْقَ هَذِي السُّطُورِ؟

إِنْكَشَفْنَا.

صَارَ الْمَدَى أَهْزُوجَةً لَنَا تَمْسُحُ فِي أَنْكِشَافِنَا
لَمَعَاتِ الْقَلْقِ وَتَرَدُّدَاتِ الْأَسَى، وَتَحْمِلُنَا إِلَى آخِرِ
الْمَكَانِ، لِتُقِيمَ ذَاتُنَا فِي عُرْسِ السَّكِينَةِ.

صَارَ الزَّمَانُ غِيَابًا تَامًّا مِنْ حَوْلِنَا، لَا حُضُورَ فِيهِ
سِوَانَا، وَلَا شَيْءٍ يَتَرَاءَى غَيْرَ ذَاتَيْنَا الْمُتَعَانِقَتَيْنِ عَلَى
شَفِيرِ الْأَبَدِ، تَقْرَأُ فِي الْحُضُورِ قَصِيدَةً جَدِيدَةً، إِيقَاعُهَا
نَبْضُ قَلْبَيْنَا الْمُتَعَانِقَيْنِ، وَحُرُوفُهَا ذُوبَانُ جَسَدَيْنَا فِي
نَشْوَةِ أَنْكِشَافِ سَمَاوِيَّةٍ، تُصَلِّي لِلزَّمَنِ الْآتِي...

٣ - فصل الخروج إلى الزمن الجديد

ها أَخْرُجُ مِنِّي،
 أَتْرُكُ خَلْفِي وَجَعَ الذُّكْرَى، وَحُدُودَ الْأَلَمِ الْمَفْتُوحِ،
 وَالصَّبْرَ الْهَاجِعَ فِي صَمْتِ الْوُجُوهِ الْمُرَافِقَةِ.
 أَتْرُكُ خَلْفِي حُدُودِي عَلَى إِيقَاعِ الْأَيَّامِ الْخَوَالِي،
 وَنَهَارَاتِ الزَّمَنِ الَّتِي جَفَّتْ، وَأَتَقَدَّمُ نَحْوَ حُدُودِ عَيْنَيْكَ.

ها أَخْرُجُ مِنِّي

لِأَدْخُلَ فِي جِدِّكَ، عَمِيقًا... عَمِيقًا... وَنَنْسَى،
مَعًا، ذُهُولَ الْقَضَاءِ الْمَفَاجِئِ، فِي مَلَكَوَتِ التَّحَوُّلِ
الْجَدِيدِ.

كُلُّ مَا فِيكَ يَسْحَبُنِي إِلَيْهِ.
كُلُّ مَا فِيكَ يَلْتَقِطُ حَوَاسِي، لِتَخْرُجَ رُوحِي إِلَيْهِ،
وَقَدْ غَرَقَتْ عَيْنَايَ فِي مَهْرَجَانِ الْأَلْوَانِ...
كُلُّ شَيْءٍ أَمَامَنَا خَالٍ إِلَّا مِنَّا؛ وَفِي هُبُوبِ
الْأَشْيَاءِ وَهِيَ تَرَسُّمُ ذَاتِهَا بَعْضُ فَلَقٍ، يُرَى وَلَا يُرَى.
كُلُّ شَيْءٍ خَالٍ، بَعْدُ، إِلَّا مِنَّا، وَبَيْنَ اللَّحْظَةِ
وَاللَّحْظَةِ أَبَدٌ مِنَ التَّوَقُّعِ وَالرَّغْبَةِ، وَبَرَارٍ وَاسِعَةً مِنْ
الْكَشْفِ الْمَذْهِلِ.

كُلُّ شَيْءٍ يَسْتَضِيءُ بِنَا، وَنَحْنُ فِي عِنَاقِ أَبْيَضٍ،
عَلَى شَفِيرِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَهْجُورِ.
لَيْسَ فِي الدَّاحِلِ غَيْرُ ذَاتِنَا.

لَيْسَ فِي الدَّاحِلِ غَيْرُ نَبْضٍ جَدِيدٍ مِنْ قَلْبِنَا
 الْمَلْتَمِّمِ، وَأَنْشِدَاؤُ لَا يَنْتَهِي نَحْوَ الصَّفَاءِ الْأَخِيرِ.

ها نُخْرِجُ مِنَّا...

نَبْدَأُ زَمَنًا جَدِيدًا، أَوَّلُهُ يَعْتَسِلُ بِنُورِ عَيْنَيْكَ،
 وَمَدَاهُ يَتَحَرَّكُ بَيْنَ اخْتِلَاجَاتِ قَلْبِي الْمَفْتُوحِ.
 نَبْدَأُ زَمَنًا جَدِيدًا، أَوْلَدُ فِيهِ مِنْ أُبْتِسَامَتِكَ
 الْمَضِيئَةِ، وَتَوْلَدِينَ أَنْتِ مِنْ أَنْشِدَادِي إِلَيْكَ، كَحِكَايَةِ
 السَّمَاءِ... وَعَيْنَانَا الْمُتَلَازِمَتَانِ تَرْقُبَانِ النُّورَ الْخَارِجَ إِلَيْنَا
 مِنْ دَاخِلِنَا، لِيُرْسِمَ حَوْلَنَا صُورَةَ الْقَدَرِ الْجَدِيدِ، وَقَدْ عَادَ
 إِلَيْنَا بِهِ مَا ضَعَعَتْهُ الْأَيَّامُ فِينَا، نُبَلِّسُ الْجِرَاحَ، وَنَعْبُرُ
 نَحْوَ الْآتِي.

كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٌ، وَقَلْبُكَ الْبِكْرُ يَصْنَعُ مِنْ
خَلَجَاتِهِ سُلَّمًا أَثِيرِيًّا رَائِعًا، أَعْبُرْ عَلَيْهِ نَحْوَ رَوْحِ
الْمَتَفَتِّحَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٌ؛ وَلَيْسَ فِيَّ وَفِيكَ غَيْرُ
أَبْتِسَامَاتِ الضِّيَاءِ تَنْهَلُ عَلَيْنَا، وَأَنَاشِيدُ الصَّفَاءِ تَخْرُجُ
مُبْتَعِدَةً بِنَا عَنْ عَكْرِ التَّوَجُّسِ، وَظَلَامَاتِ الْخَشْيَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٌ:

أَتَعَلَّقُ بِجِبَالِ نَظْرَاتِكَ الضَّوِّيَّةِ لِأَرْقَى، مَكْشُوفًا،
عَارِيًّا، إِلَى سَمَاءِ عَيْنَيْكَ، وَتَتَعَلَّقِينَ أَنْتِ بِجِبَالِ وَجْدَانِي،
لِتَدْخُلِي عَالَمَ الدَّهْشَةِ يَصْنَعُ مِنْكَ أَمْرًا أُخْرَى...
كُلُّ شَيْءٍ جَدِيدٌ، وَشَرَارَاتُ الدُّهُولِ تُضِيءُ
طَرِيقَنَا، وَمَطَرُ الْأَلَقِ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْنَا يَغْسِلُ رُوحَيْنَا،
لِيَنْبِتَ فِيهَا عُشْبُ الضِّيَاءِ الْأَبْيَضِ.

نَبْدًا زَمَنًا جَدِيدًا، حَيْثُ نَكْشِفُ ذَاتَيْنَا
الْمَتَعَانِقَتَيْنِ، وَقَدْ انْفَتَحَتْ كُلُّ ذَاتٍ عَلَى الْأُخْرَى،
وَأَنْكَشَفَتْ لَهَا، وَحَيْثُ أَجْرَاسُ الْآتِي تُؤْذِنُ بِالذُّحُولِ...
كُنْتُ تَفْتَحِينَ فِي مَعَايِرِ النُّورِ إِلَى طَرِيقٍ يَمَلَأُهَا
الْمُدْهَشُ، وَتَنْبُتُ عِنْدَ أَطْرَافِهَا غَمَّعَاتُنَا الْخَاشِعَةُ.

كَانَتْ عَيْنَاكَ تَطِيرَانِ بِرُوحِي إِلَى أَصْقَاعِ مَنْ
الْحَيَالِ، فِي أَرْضٍ بَكْرٍ، تَرَسُّمُ حُدُودِهَا وَدَاعَتُكَ الْوَارِقَةُ،
وَتُرْتَيْنُ فُضَاءَهَا دَقَّاتُ قَلْبِكَ الرَّقِيقِ، وَهُوَ يَخْنُو عَلَيَّ
كَأَنْسَامِ السَّمَاءِ...

نَبْدًا زَمَنًا جَدِيدًا.

أَكْتُبُكَ فَصِيدَةً بِحَبْرِ قَلْبِي عَلَى سُطُورِ كِيَانِي
الْمُفْتُوحِ أَمَامِكَ.

أَكْتُبُكَ قَصِيدَةً بِأَهْدَابِ عَيْنِي، تَنْسَلُّ كَلِمَاتُهَا
إِلَى شَرَايِينِ هَذَا الزَّمَنِ الْجَدِيدِ، لِتَعُودَ بِهَا الثَّوَانِي...
أَكْتُبُكَ قَصِيدَةً بِكُرًّا، حُرُوفُهَا نَبْضَاتُ الْفُؤَادِ،
وَإِيقَاعُهَا الْعُمُرُ الْأَخْضَرُ وَهُوَ يَقْفِزُ فَوْقَ حُدُودِ الثَّوَانِي،
وَوَرَاءَ فُضَاءِ الذِّكْرِيَّاتِ.

يَا قَصِيدَتِي الْبِكْرَ الَّتِي لَمْ يَقْرَأْهَا غَيْرِي،
يَا حَرْفِي الرَّائِعَ الَّذِي أَخْتَصَرَ الْأَبَدَ،
يَا هَمْسَ الصَّلَاةِ...

مُوعِلاً فِي حُقُولِ الضِّيَاءِ،
أَتَقَرَّى بِعَيْنَيْكَ حَرْفَ الْقَصِيدَةِ
وَالْأَلَقَ الْمَتَجَمِّعَ حَوْلَ كِيَانِكَ،
وَأُحْصِنُ بِالزَّهْوِ أَفُقَ زَمَانِكَ،
رَاسِمًا فِي قَرَارِكَ

دَرْبَ السَّمَاءِ ...

مَوْغِلًا فِي حُقُولِ الضِّيَاءِ،
أَمْسَحُ الْحُزْنَ عَنْكَ بِقَلْبِي
لَأَتْرُكَ فِيكَ أَمْتِدَادَ الْبِهَاءِ.

مَوْغِلًا فِي حُقُولِ الضِّيَاءِ،
أَجْمَعُ الشَّعْرَ
فِي ضَوْءِ عَيْنَيْكَ
مُنْخَطِفًا
فِي حُرُوفِ الْقَصِيدَةِ،
جَبْرُهَا مِنْ دَمِي،
رَاسِمًا فَوْقَ هَذِي السُّطُورِ الْمَدِيدَةِ

أُفْقًا مِنْ بَهَاءِ رُؤَانَا
يُزَيِّنُ هَذَا الْفَضَاءَ...

نَبْدًا زَمَنًا جَدِيدًا.
أَرْسَمُكَ حَدِيقَةً شِعْرٍ تَبْدَأُ فِي قَرَارَةِ قَلْبِي، وَتَمْتَدُّ إِلَى
أَعْمَاقِ الْفِرْدَوْسِ.
أَرْسَمُكَ نَجْمَةً تُرْصَعُ عَيْنَ الصَّلَاةِ، وَتَبْرِقُ كَالْأَمَلِ
فِي فَرْحِ الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ.
أَرْسَمُكَ صَلَاةً تَنْتَشِرُ فِي قَلْبِي كَالْبَحْرِ، نَبْضَاتُهَا
هَمْسُ فُؤَادِي، وَخُرُوفُهَا مِنْ ذُهُولِ عَيْنِي فِيكَ، تُرْتَلُّهَا
خَاجِرُ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ تَخْشَعُ أَمَامَ رُوحِ اللَّهِ، فِي قُدْسِ
الْمَلَكُوتِ...

يَا أُمْرَأَةَ الزَّمَنِ الْجَدِيدِ،

يا أَمْرًا اختَصَرْتِ حَيَاتِي كُلَّهَا فِي أَيْتِسَامَةٍ وَاحِدَةٍ
تَسِيلُ عَلَيَّ شَفَقَتَيْهَا،
يا قَصِيدَةَ الزَّمَنِ الْآتِي،
يا حُدُودَ الرَّجَاءِ...

٤ - فصل الدخول إلى الذات

وَأَقْفَةً أَمَامَ ذَاتِكَ مَعِي، تَقْرَعِينَ رِتَاجَ الدُّخُولِ...
فَأَفْتَحِي بَابَهَا، بَعِيدًا عَنِ الدَّهْشَةِ، بَعِيدًا عَنِ
الْقَلْقِ الَّذِي حَجَّرَ أَيَّامَكَ فِي الخَارِجِ، وَلَفَّكَ بِالضَّبَابِ
الثَّقِيلِ.

إِفْتَحِي بَابَ ذَاتِكَ مَعِي، وَأَعْبُرِي بِي إِلَيْهَا،
فَنَكْسِرَ حِصَارَ المَحْظُورِ، وَمُزَّقَ سِتَارَ الخَوْفِ الَّذِي
يَحْجُبُ الجَوْهَرَ السَّاكِنَ.

إِفْتَحِي بَابَ ذَاتِكَ مَعِي، وَأَكْسِرِي بِيَدَيَّ جِدَارَ
التَّرْدُدِ، وَأَعْبُرِي حَاجِزَ الخَشْيَةِ المَكْوَمَةِ فَيْكِ، مَرْسُومَةً

صُورًا وَأَفْنَعَةً وَأَشْكَالًا، وَأَخْطِي قُدُمًا، فَسَنُلُكَ طَرِيقَ
النُّورِ.

هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ، فَخُذِي قَلْبِي دِرْعًا لَكَ،
وَرُدِّي عَنْكَ هَوَاجِسَ السُّقُوطِ؛ وَخُذِي كِيَانِي سَيْفًا،
وَأَضْرِبِي بِهِ ظِلَامَ الْوَهْمِ الْهَاجِعِ فِي أَعْمَاقِكِ الرَّائِعَةِ.

هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ،
فَهَاتِي يَدَكَ، وَأَعْبُرِي خَارِجَ نُحُومِ الْمُمْكِنِ الْمُحْظُورِ.

كَانَ صَدَأُ الْمَاضِي يُجْرِحُ عَيْنَيْكَ الْأَثِيرِيَّتَيْنِ،
وَضَبَابُ الْحِسْرَانِ يَلْفُ الْأَرْضَ مِنْ حَوْلِكَ، فَتَمِيعُ،
وَتَعْرِقُ فِيهَا الْخُطَى، مُرَاوِحَةً فِي التَّيِّهِ. وَكَانَ الدُّهُولُ

الجديد يُلحُ عَلَيْكَ، فَتَنَكِّشِينِ لِي، عَارِيَةً كَالضَّوءِ،
شَفَافَةً كِبَلُورِ الْمَلَائِكَةِ.

إِنَّا عَشَرَ عَامًا تُلَمِّينَ جِرَاحَ الْمَاضِي، وَقَدْ
صَدَيْتِ حَوْلَ قَلْبِكَ الرَّهِيْفِ، وَكُنْتِ جُعْتِ عِشْرِينَ مِنْ
قَبْلُ إِلَى نَوْرِ يَرِقُّ لَكَ، وَيَحْضُنُ حَنَانِكَ الْمَبْدَدَ. صَدِيَّ
الْمَاضِي حَوْلَ وَحْشَتِكَ الرَّهِيْبَةِ، وَحَاصَرَ قَلْبِكَ بِالشُّعُورِ
الْمَعْتَمِ، فَنَسِيَ النَّبْضَ، وَأَزْتَدَّ عَلَيْكَ يُجْرِحُ أَيَّامَكَ
بِمَحَالِبِهِ، وَيَنْخُرُ فِكْرَكَ بِسُمِّ الْمَرَاوِحَةِ. وَلَا شَيْءَ مِنْ
حَوْلِكَ إِلَّا الْفِرَاحَ الْمَدِيدَ...

إِنْقَضَ الْمَاضِي عَلَيْكَ، عَامًا بَعْدَ عَامٍ، حَتَّى
وَاجَهَهُ حَاضِرٌ قَوِيٌّ، يَضْرِبُ صَفَاقَتَهُ بِمِطْرَقَةِ الْعِزْمِ،
وَيَدْفَعُ بِقَلْبِكَ، قُدْمًا، نَحْوَ دَرْبِ النُّورِ.

هَكَذَا وَقَفْنَا مَعًا أَمَامَ ذَاتِكَ، تَحْمِلُكِ جُرْأَةٌ
أَمْتَدَّتْ إِلَيْكَ مِنِّي، وَعِزْمٌ خَرَجَ نَحْوِكَ مِنْ كِيَانِي، لِيَقْهَرَ
الْمَاضِي.

فَأَخْطِي خَطْوَكِ نَحْوَ ذَاتِكِ، وَأَفْتَحِي نَوَافِدَهَا
عَلَى النُّورِ المَحْرَّرِ.

إِخْطِي خَطْوَكِ، وَأَعْتَمِدِي بِوَجْهِ قَلْبِي،
وَأَغْسِلِي كِيَانِي بِنُورِ عَيْنَيْكِ، لِيَصِيرَ لَكَ جِسْرًا تَعْبُرِينَ
بِهِ فَوْقَ رُكَامِ المَاضِي الرَّهيبِ نَحْوَ ذَاتِكِ المَفْتُوحَةِ.

ذَاتِكِ الآنَ ضَوْءٌ رَهيفٌ

يُشِيرُ إِلَيْكِ،

وَيَدْفِقُ نُورَ السَّمَاءِ عَلَيْكِ،

فَهَاكَ فُؤَادِي،

وَهَاكَ أَنْدِفاقَ دَمِي

فِي حُرُوفِ مِدَادِي...

وَأَنْتِ قَصِيدَةٌ عُمْرِي الْجَدِيدِ
 تُرْصَعْنِي بِالْحَيَاةِ،
 فَشُدِّي عَلَيَّهَا يَدَيْكَ،
 وَخُطِّي بِحَبْرِ دَمِي الْكَلِمَاتِ...
 وَأَدْخُلِي ذَاتِكَ الْآنَ:
 كُلُّ حُرُوفِي غِنَاءٌ
 وَكُلُّ كِيَانِي حُبُورٌ لَدَيْكَ.

ذَاتِكَ الْآنَ وَمُضٌّ يُحِيطُ بِعَالَمِكَ، وَيَكْشِفُ لَكَ
 فُضَاءَاتِ الْأَلْقِ، وَغَابَاتِ الْغَيْبَةِ الْمَخْبِئَةِ؛ وَبَيْنَ الْخَطْوَةِ
 وَالْخَطْوَةِ أَلْفُ أَلْفٍ فَهَقْمَةٌ، وَأَلْفُ أَلْفٍ أَيْتِسَامٌ.
 أَعْبُرِي غَابَاتِ ذَاتِكَ الْبَيْضَاءِ تَتَكَشَّفُ لَكَ قُوَّةُ
 حُضُورِكَ، وَتَطِيرَ بِكَ إِلَى فُضَاءَاتِ الدُّهُولِ، حَيْثُ يَمْتَدُّ
 سِرُّكَ الضَّائِعُ الَّذِي حَاجَبَهُ عَنْكَ رُكَامُ الْمَاضِي الرَّهِيْبِ.

ها تي يدك، فيعدو العبور رحلة مشرقة، وأنخطافاً
 غارقاً في الرجاء، نحو عالم لا نهاية له.
 خُذي يدي، وأنت داخل ذاتك، فتلين المعابر،
 وتنبسط الطريق مُزينةً بأضواء البهجة، وروعة
 الاكتشاف.

خُذي يدي، وأيقظي أنخطاف قلبك، فيعود
 إليك ربيع المفاجأة، ومطرُ الحبور الذي يبعثُ الموات.
 خُذي يدي، وأرسمي بها وجهك وهو يرى إلى
 الزمن الجديد، وكيانك وهو يصعدُ معراج الانكشاف،
 نحو قلبي المفتوح.

كانت ذاتك المفتوحة لنا مُزينةً بغناء العلى
 الهامس، يتصاعدُ كبُحارِ النورِ ليُعطيَ وجهينا، ويصفيَ
 كيانينا من جراح الغابر، وآلام الأباطيل.
 كان كلُّ شيءٍ أبيضَ كالضياء، أشدَّ رهافةً من
 قوسٍ فزح، وألطفَ من رُفرفاتِ النسيم.

تَرَسِّمِينَ، فِي ذَاتِكَ، أَلْتَوَانِي سَلَامًا مِنَ الْمَوْسِيقِي،
تُوقِّعُ رُوحَكَ وَهِيَ تَتَحَرَّكُ نَحْوِي، لِنَرَقِيَ مَعًا إِلَى حَنْجَرَةِ
السَّمَاءِ.

تَرَسِّمِينَ، فِي ذَاتِكَ، أَلْعَالَمَ شَقَافًا، رَهِيْفًا، يَمْتَلِئُ
بِكِيَانِكَ وَهُوَ يَسْتَعْرِقُ فِي كِيَانِي، لَيْسْتَمِدَّ مِنْهُ رَجَاءَ
التَّغْيِيرِ، وَقُوَّةَ الاستِمْرَارِ. وَأَرْسُومِكَ أَنَا عَالَمًا مِنَ الصَّفَاءِ،
يُعِيدُ إِلَيَّ رَجَائِي، وَيَزِدُّ الِاتِّمَامَ، وَيَفْتَحُ فِي قَلْبِي زَهْرَةَ
السَّمَاءِ الَّتِي أَضَعْتُهَا.

هَذَا هُوَ الشَّفِيرُ الْأَخِيرُ،
فَادْخُلِي إِلَى ذَاتِكَ، وَأَفْتَحِي نَوَافِذَهَا لِلشَّمْسِ،
وَبِأَجْمَلِ قَلْبِي.

هَذَا هُوَ الشَّفِيرُ الْأَخِيرُ،
فَلَا ضِيَاعَ، بَعْدُ، وَلَا خِسْرَانَ، وَلَا جِرَاحَ...

لَمَلِمِي أَشْجَانِكَ، وَذُرِّيَهَا بِقَلْبِي، وَسِيرِي قُدُمًا
فِي ذَاتِكَ نَحْوَ نُورِ الْهُدُوءِ، وَبُحَيْرَاتِ الصَّفَاءِ.

هَذَا هُوَ الشَّفِيرُ الْأَخِيرُ،

فَأَمْسَحِي عَنْ زَمَانِكَ الْجَدِيدِ صَدَأَ الْمَاضِي،
وَأُتْرِكِي خَطْوَكِ الرَّقِيقِ فِي الْقَلْبِ عَمِيقًا، إِلَى حَيْثُ لَا
رُجُوعَ، وَأَزِيحِي سَتَائِرَ عَيْنَيْكَ لِتَصِيرَ كُلُّ نَجْمَةٍ فِي قَلْبِي
أَيْقُونَةً لِكِيَانِكَ الْمَتَجَدِّدِ، وَكُلُّ بَسْمَةٍ نَبْضًا جَدِيدًا فِي
كِتَابِ الرَّجَاءِ.

إِمْسَحِي صَدَأَ الْمَاضِي عَنْكَ، وَأَعْتَسِلِي بِكُوْتِرِ
قَلْبِي، فَتَخْرُجْ مِنْ أَعْمَاقِكِ يَنَابِيعُ الْعِشْقِ، وَتَرْتَفِعْ بِكَ
إِلَى سَمْتِ ذَاتِكَ، حَيْثُ تَنْتَظِرُكَ رُوحِي وَذَاتِي وَجَسَدِي
وَكَامِلُ كِيَانِي.

إِمْسَحِي صَدَأَ الْمَاضِي عَنْ ذَاتِكَ الَّتِي أَنْفَتَحَتْ
لِي، وَأَعْتَسِلِي عَيْنَيْكَ الْوَارِفَتَيْنِ بِالنُّورِ، وَأَقْشُرِي عَنْ

قَلْبِكَ رُكَّامَ الشَّجَنِ الطَّوِيلِ، فَيَنْبِضَ مُجَدِّدًا بِالْفَرَحِ،
وَيَعْمُرَ بِالْهُدُوءِ وَالرَّجَاءِ.

وَهَاكَ يَدِي؛ خُذِيهَا، وَأَسْأَلُكَ سَبِيلَ الْإِنْخِطَافِ
فِيَّ، وَأَعْبُرِي بِقَلْبِي بِحَارِ الْقَلْقِ، إِلَى شَوَاطِئِ لَيْسَ فِيهَا
غَيْرُ سِحْرِ عَيْنَيْكَ، وَبِحَارِ عِشْقِكَ الْأَزْرَقِ بِلَوْنِ
السَّمَاءِ...

هَاكَ يَدِي؛ خُذِيهَا، وَأَفْتَحِي قَلْبِي عَلَى رِحَابِ
قَلْبِكَ الْجَدِيدِ، حَيْثُ لَا شَيْءَ غَيْرُ الصَّفَاءِ، وَغَيْرُ أَرْضِ
بِكْرِ، لَمْ تَطَّأْهَا ذَاتٌ مِنْ قَبْلُ، وَلَا دَخَلَ إِلَيْهَا نُورٌ قَبْلَ
نُورِي... وَكُونِي الْجَنَّةَ الَّتِي تَفْتَحَتْ وُرُودُهَا فِي فُؤَادِي،
وَمَلَأَ أَرْجُوحَا كِيَانِي، وَأَنْكَشَفَتْ أَعْمَافُهَا لِي فِرْدَوْسًا مِنْ
الْأَلْوَانِ الصَّافِيَةِ، وَإِلَهًا صَغِيرًا مِنْ نُورٍ وَأَرْبِجٍ، يَمْسَحُنِي
بِالْبَرَكَةِ، وَيَفْتَحُ فِي قَرَارَتِي، مَرَّةً أُخْرَى، حُدُودَ السَّمَاءِ...

٥ - الدّخول إلى النور

شَمْسُ حَيَاتِي تُشْرِقُ، مَرَّةً أُخْرَى، مِنْ أَفْقِ
عَيْنَيْكَ؛

فَارْفَعِينِي إِلَيْكَ، وَأَجْعَلِي قَلْبِي غِلَاةً لِقَلْبِكَ،
وَعَيْنِي مَدَارًا لِعَيْنَيْكَ، وَكِيَانِي أَرْضًا يَعْبُرُ عَلَيْهَا كِيَانُكَ،
لِيَفْتَحَ لِي النُّورَ؛ وَأَنْزِلِي إِلَيَّ، إِلَى نَبْضِ فُؤَادِي، لِيُشْبَعَ
بِالْحَيَاةِ، وَيَعُودَ مُؤْتَلِّقًا بِحَرَارَةِ ابْتِسَامَتِكَ الْوَادِعَةِ.

إِرْفَعِينِي إِلَيْكَ، وَأَضِيئِي كِيَانِي بِنُجُومِكَ،
وَأَمْسَحِي عَنِّي وَعَنْكَ غُبَارَ هَذَا الْعَالَمِ، وَاكْشِفِي
أَعْمَاقَكَ لِلنُّورِ، فَيَحْمِلَ كَائِنُكَ إِلَى أَثِيرِ الْحُلْمِ الْكَبِيرِ.

إِرْفَعِينِي إِلَيْكَ،
وَأَضِيئِي قَرَارِيَّ بِابْتِسَامَتِكَ، لِيَنْزَاحَ عَنْهُ مَا يَحْجُبُ
الْأَلْقَى، وَيُنْكَشِفَ الذُّهُولُ فِي انْخِطَافِ الْقَصِيدَةِ.

تُشْرِقِينَ عَلَيَّ مِنْ أَفُقِ عَيْنَيْكَ،
فَأَسْتَعْرِقِي فِي حُلْمِكَ الْمَتَفَتِّحِ، وَقَدْ أَنْزَاحَ عَنْكَ
رُكَاثُ الْمَاضِي، وَصَفَافَةُ الْأَيَّامِ الَّتِي حَجَبَتْ قَلْبَكَ
السَّمَاوِيِّ.

تُشْرِقِينَ عَلَيَّ مِنْ أَفُقِ عَيْنَيْكَ،
فَأَدْخُلِي إِلَى أَعْمَاقِ ذَاتِي، وَأَنْسُجِي مِنْ ضَوْءِ
عَيْنَيْ تَوْبًا لِرُوحِكَ الْمُنْكَشِفَةِ، وَمِنْ نَبْضِ قَلْبِي سَرِيرًا
تَأْوِينَ إِلَيْهِ مَتَى تَعْبَتِ، وَمِنْ دَمِي حَبْرًا لِقَصِيدَتِكَ

الكُبْرَى؛ وَكُونِي حُبْرِي مَتَى جَاعَتْ رُوحِي، وَنُورَ عَيْنِي
مَتَى أَحَاطَ بِهَا الظُّلَامُ، وَبَلَسَمَ وُجُودِي مَتَى غَطَّاهُ
الْأَسَى.

أَدْخُلِي إِلَى أَعْمَاقِ ذَاتِي، وَأَبْدِئِي كِتَابَةَ إِنْجِيلِنَا
الْجَدِيدِ...

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ هَذَا النُّورِ الَّذِي يُلْفُ
رُوحَيْنَا، وَيَرْقِي بِنَا إِلَى مِعْرَاجِ الْآتِي، حَيْثُ الْأَرْضُ غَارِقَةٌ
فِي الْبَيَاضِ، وَالْعُمْرُ مَدَى مُنْخَطَفٍ مِنْ أَنَاشِيدِ الْأَعَالِي.
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ هَذَا السَّرِّ الْهَامِسِ، نَاهِضًا
مِنْ قَرَارَةِ الْأَلْقِ.

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ أَنْكِشَافٍ أَبْعَدَ مِنْ
الْكَلَامِ، وَوَقَعٍ أَبْيَضَ، أَرْوَعَ مِنْ هَمْسِ الْمَلَائِكَةِ.
لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ إِنْجِيلِ الْبِدَايَةِ الْمُدْهَشَةِ،
وَالْإِنْخِطَافِ الْمُضِيِّ كَالصَّلَاةِ.

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ سَمَاءٍ تُزِينُنَا بِالذَّهْشَةِ، وَإِلَيْهِ
يَخْنُو عَلَى رَوْحِنَا، لِيَتْرَكَ فِيهِمَا أَيْتِسَامَةَ الْفِرْدَوْسِ...
فَاهِ، آهِ، اهدَايِ...

إِرْفَعِينِي إِلَى نُورِ عَيْنَيْكَ
كَيْ أُبْصِرَا،
وَأُبْدَايِ رِحْلَةَ الْكَشْفِ
خَلْفَ كِيَانِي،
وَنَامِي بِعَيْنَيْ،
أَجْمَلٍ مِنْ حُلْمٍ مُزْهِرٍ،
فَأَرَى
عَبْرَ عَيْنَيْكَ كُلَّ حُدُودِي
وَضَوْءَ زَمَانِي،
وَيَرْجِعَ بُسْتَانُ عَمْرِي

مَدَى أَحْضَرَا...

إِرْفَعِينِي إِلَى نَوْرِ عَيْنَيْكَ،

هَاتِي يَدَيْكَ،

وَطِيرِي بِنَا فِي بَرَارِي الدُّهُولِ

لِنَقْطِفَ مِنْ شَجَرِ العِشْقِ أَثْمَارَهُ،

وَنُظَلِّلَ آفَاقَنَا

بِالشُّرُوقِ الطَّوِيلِ.

إِمْسَحِي قَلْقِي،

وَأَكْسِرِي الوَقْتَ،

وَأُحْيِ القَتَامَ الَّذِي حَاصَرَ الدَّاتَ

قَبْلَ انْكِشَافِكَ،

وَأَمْضِي إِلَى نَوْرِ قَلْبِي،

وَشُدِّي رَجَائِي

إِلَى زَهْرٍ تِلْكَ الْحُقُولِ،
 وَكُونِي دَمِي،
 وَأَنْبُضِي فِي فُؤَادِي عَمِيقًا،
 لِأَخْذِ مِنْكَ بَهَاءَ فُصُولِي...
 إِزْفَعِينِي إِلَى نُورِ عَيْنَيْكَ،
 وَأَخْتَرِقِي الدَّرَبَ نَحْوِي
 لِنَرَقِي إِلَى النُّورِ.
 لَيْسَ سِوَانَا
 يُزَيِّنُ وَجْهَ الزَّمَانِ بِأَحْلَامِهِ،
 وَيُوشِّي حُقُولَ الضِّيَاءِ؛
 وَلَيْسَ سِوَانَا
 يَمُرُّ كَمَا الْحُلْمُ مُنْخَطِفًا،
 رَائِعًا،
 بَيْنَ قَلْبِ الْإِلَهِ
 وَتَسْبِيحِ هَذَا الْفَضَاءِ...

وَلَيْسَ سِوَانَا
 بَرِيقًا مِّنَ الشُّعْرِ
 يَحْمِلُ لِلْأَرْضِ أَنْشُودَةَ الْمَسْتَحِيلِ
 وَوَجْهَ السَّمَاءِ...

تُشْرِقِينَ عَلَيَّ أَفُقَ حَيَاتِي،
 فَهَاتِي يَدَكَ لِنُدْخُلَ مَعًا إِلَى مَدَارِ النُّورِ، فَتَعُودَ
 إِلَى الرَّبِيعِ خُضْرَتُهُ، وَإِلَى الْحُقُولِ بَرَكَتُهَا، وَإِلَى قَلْبِي مِظْلَةٌ
 الْحُبُورِ.

هَاتِي يَدَكَ، وَنَبْدًا.

هَذَا هُوَ أَنْحِطَاؤُنَا الْجَدِيدُ نَحْوَ أَفُقِ النُّورِ:
 كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضُ، وَالْأَنَاشِيدُ هَامِسَةٌ تَتَغَلَّغُ إِلَى
 الْأَعْمَاقِ كَالْبَلْسَمِ الرَّائِحِ.

كُلُّ ما فينا مَفْتُوحٌ على رِذاذِ الضِّيَاءِ الصَّافِي،
يَتَحَرَّكُ قُدِّمًا إلى فَوْقُ، إلى فِرْدَوْسٍ جَدِيدٍ، مُنْكَشِفٍ
على الألقِ، يَحْضِنُ قَلْبَيْنَا، وَيُوزِّعُ عَلَيْنَا حُبْرَ الفَرَحِ،
وَتَمَارَ الانْكِشَافِ.

كُلُّ ما فينا نُظَلِّلُهُ أَشْجارِ النُّورِ، نَمُرُّ مِنْ تَحْتِهَا
إلى بُحَيْرَةِ الألقِ، عَارِيَيْنِ إِلَّا مِنْ ذَاتَيْنَا، وَنَنْزِلُ إلى مَائِهَا،
نَعْسِلُ بِهِ تَعَبَ الأَيَّامِ الَّتِي خَلَّتْ، وَصَدَأَ المَاضِي الثَّقِيلِ
الَّذِي كَبَلَ جُمُوحَ خَطَوَاتِنَا.
كُلُّ شَيْءٍ أَبْيَضُ،

يَعْسِلُهُ النُّورُ المَندِفِقُ عَلَيْنَا مِنْ أعْماقِنَا، لِيَنْفَتِحَ
عَبْرَ كِيانِنَا على أَرْوَاعِ رِحْلَةٍ تَقُودُ إلى الشَّمْسِ، خَارِجِ
يَاسِ الأَيَّامِ المَرْهَقَةِ، وَخَارِجِ الزَّمَنِ الَّذِي أَنْطَفَأَ بَعِيدًا عَن
دُهولِنَا، وَعَبْرَ خَطَوَاتِنَا يَنْبُتُ يَاسْمِينُ الغِبطَةِ، وَشَجَرُ
الدُّهولِ يَعْجَبُ ذَاتَيْنَا، جُذُورُهُ في أعْماقِنَا، وَرَأْسُهُ مَوْعِلٌ
في السَّمَاءِ...

هَذِهِ هِيَ الْقَصِيدَةُ الْأَخِيرَةُ،
فَأَرْحَلِي فِي حَبْرِهَا الْمَضِيِّ، وَشُدِّي إِلَيْهَا كِيَانَكَ،
وَأَوْثِقِيهِ بِكِيَانِي، لِنَعْبُرَ بِهَا نَحْوَ الْفِرْدَوْسِ الْمُسْتَعَادِ.

٦ - فصل الزَّفَاف

رَفَعْتَنِي إِلَى ذَاتِكَ، فَأَنْفَتَحَ الضَّوُّ عَلَيْهَا،
وَأَنْخَطَفْنَا مَعًا، فَكَانَ الزَّفَافُ.

هذا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ مِنَ الدُّخُولِ،

فَأَسْتَرَسَلِي فِي بَهَاءِ النُّعْمَةِ، وَأَحْمِلِي لِي مَا يَجْعَلُ
ذَاتِي حُضُورًا شَفَافًا فِي وَلِيمَةِ التَّخَطُّبِ، وَكُونِي أَنْتِ
الزَّيْتِ الَّذِي يَمْسُحُ قَلْبِي بِطُهْرِ الْجَسَدِ حِينَ يَتَوَاصَلُ،
وَبُولُوجِ الرُّوحِ حِينَ تَحْتَرِّقُ كِيَانِي... حَتَّى الْقَرَارِ...

إِسْتَرَسَلِي فِي بَهَاءِ النُّعْمَةِ،

وَأَعْبُرِي بِي إِلَى ضِفَافِ عَيْنَيْكَ، حَيْثُ أَلَوْنُ
رُوحِي بِكَ بَعْدَ أَنْ خَطَفَهَا الْغِيَابُ، وَأَقْرَأُ فِي جَنَّةِ

كِيَانِكَ آيَاتِ الْعُبُورِ إِلَى الْعُلَى، وَسُورَ الصَّفَاءِ وَهِيَ
تَجْعَلُنِي بَخُورًا لِقَلْبِكَ، يَحْتَرِّقُ فِيهِ، لِيَصْنَعَ الْآتِيَ النَّازِلَ
عَلَيْنَا مِنْ فَوْقُ.

وَفِي عُمُقِ الْإِنْخِطَافِ الْأَخِيرِ، أَعْبُرُ مِنْ ذَاتِي
إِلَيْكَ، لِأَحْمِلَ لَكَ رَبِيعَ الْحَيَاةِ، وَعَيْدَ الزَّفَافِ فِي انْتِشَارِ
الضُّوءِ.

فَأَسْتَرْسِلِي فِي بَهَاءِ النُّعْمَةِ،
وَكَوْنِي عَيْدَ الْحُضُورِ فِي قَلْبِي الْمَفْتُوحِ لَكَ،
وَأَرْفَعِينِي إِلَى صَفَائِكَ الْمَكْشُوفِ، لِيَصِيرَ الزَّمَانُ
مَعْبَرًا إِلَى دُرُوبِ الْأَثِيرِ، وَهُوَ يَبْنِي فِي عَيْنَيْكَ الْإِلَهِيَّتَيْنِ
مَعْبَدَ الْحُلْمِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي.

هذا أَوَانُ الزَّفَافِ،

فَلْتَنْفَتِحِ الْمَعَابِرَ لَنَا، فِي اتِّحَادِنَا الرَّائِعِ، وَلِيَكْتُبِ
الشُّعْرُ آخَرَ قَصِيدَةٍ مِنْ نَبْضَاتِ قَلْبَيْنَا، وَمِنْ حُرُوفِ
أَنْحِطَافِنَا إِلَى سِرِّ الْفِرْدَوْسِ.

هَذَا أَوْانُ الزَّفَافِ.

سَأَجْعَلُ طَرْحَةَ عُرْسِكَ قَلْبِي النَّابِضَ لَكَ،
تَسْحَبِينَ الشُّعْرَ فِيهَا وَرَاءَكَ، لِيَمْسَحَ كُلَّ مَا فَاتَ،
وَيَعْرِقَ الزَّمَانَ فِي أَلْقِ الْإِتِّحَادِ.

سَأَجْعَلُ طَرْحَةَ عُرْسِكَ عُرُوقِي وَشَرَايِينِي، وَنَبْضَ
الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَحْتَصِرُ الْوُجُودَ وَكُلَّ مَعْنَى الْأَبَدِ، فِي
أَبْتِسَامَةِ عَيْنَيْكَ.

سَأَجْعَلُ طَرْحَةَ عُرْسِكَ حَيَاتِي الَّتِي أُحْرِفُهَا بَخُورًا
لَكَ، لِتَكُونَ الصَّلَاةَ الْأَخِيرَةَ فِي كَنِيْسَةِ الْأَلْقِ الْمَفْتُوحِ.

هَذَا أَوْانُ النُّعْمَةِ،

فَأَخْتَصِرِي الْبُوحَ بِعِشْقِكَ الْوَثِيرِ،

وَأُهْدِي عَلَيَّ امْتِدَادَ كِيَانِي،

آه، أهدأي... .

عِنْدَمَا يَدْخُلُ الْوَقْتُ أَيْقُونَةَ النُّورِ،
 وَالشَّعْرُ يَرْسُمُ وَجْهَكَ
 فِي أَرْجِ الْأُغْنِيَاتِ،
 عِنْدَمَا يَكْسِرُ الْعِشْقُ كُلَّ الْحُدُودِ،
 وَيَخْتَصِرُ الْكَلِمَاتِ،
 يَبْدَأُ الْوَقْتُ مِنْ خَارِجِ الْوَقْتِ،
 يَنْحَسِرُ الْمَسْتَحِيلُ،
 وَتَفْتَحُ أَعْمَاقُنَا بِأَبْهَا
 لِضِيَاءِ الْحَيَاةِ.

كُلُّ حَرْفٍ أَخْطُ بِنَبْضِ عُرُوقِي

أَوْشِيهِ بِالْحُلْمِ،
 أَرْسُمُهُ فِي صَدَى الْأُمْنِيَاتِ،
 لِتَلَوْنَ عُرْسَكَ أَنْشُودَهُ الرُّوحِ.
 كُلُّ دَمِي حَبْرٌ عَيْنَيْكَ
 فِي فَرْحِ الصَّلَوَاتِ.

كُلُّ شِعْرِ،
 مَتَى مَسَّ طَرْحَةَ عُرْسِكَ،
 عَادَ بِخُورًا
 تُصَعِّدُهُ غَمَّغَمَاتُ أَنْتِشَائِكَ
 وَالضُّوْءُ وَهُوَ يَزِينُ مَدَى الْغَمَّغَمَاتِ...

فَأَهْدِي،

وَأَعْبُرِي الْوَقْتَ
 نَحْوَ انْفِتَاحِ الزَّمَانِ .
 هُوَذَا الْعِشْقُ يَكْتُبُ آيَاتِهِ
 فِي ذُهُولِ الْكِيَانِ ،
 هُوَذَا وَجْهُكَ الْآنَ
 فِي الْأَبْيَضِ الْمُنْتَشِي
 يَبْدَأُ الشُّعْرُ
 خَلْفَ حُدُودِ الْأَمَانِي .

رَقَصَ الْفَرْحُ الْمَتَدَفِّقُ فِيكَ
 وَأَوْقَدَ أَحْلَامَ الْآتِي ،
 وَتَأَوَّهَتِ الدُّنْيَا مِنْ فَرْحِ ،
 وَاتَّحَدَّتْ ذَاتَانَا
 فِي عُرْسِ الْآهَاتِ .

رَقَصْتَ عَيْنَاكِ
 عَلَى أَحْلَامِ الصَّلَوَاتِ.
 رَقَصَ الْفِرْدَوْسُ
 عَلَى إِيقَاعِ الْأَبَدِيَّةِ،
 وَتَلَوْنَ قَلْبَ الْأَرْضِ بِقَلْبِكَ،
 يَقْطِفُ زَهْرَ الْأَحْلَامِ السَّحْرِيَّةِ.
 رَقَصْتَ قَافِيَةَ الشُّعْرِ عَلَى أَحْلَامِ الْآتِي
 لِيَصِيرَ غِنَاءُ الْأَعْلَى
 بَابًا
 نَدْخُلُ مِنْهُ
 إِلَى الْأَحْلَامِ الْمُنْسِيَّةِ.

هُوَذَا الْآتِي
 يَبْدَأُ مِنْ وَقَعِ خُطَاكِ

عَلَى الْأَلْحَانِ الْفِرْدَوْسِيَّةِ.

هَذَا أَوَانُ الزَّفَافِ،

فَأَرْقُصِي عَلَى إِيقَاعِ الْفَرَحِ الْكُوْنِيِّ، وَأَكْتُبِي فِي
ضُلُوعِي حُبُورِكَ الْأَبْيَضِ، وَعَلَى صَفْحَاتِ حَيَاتِي
تَكْوِينِكَ الْجَدِيدِ.

كُلُّ حَرْفٍ نَشِيدٌ،

كُلُّ حَرْفٍ تَارِيخٌ مُعَمَّسٌ بِالنُّورِ، يَفِيضُ مِنْ
قَلْبِكَ إِلَى قَلْبِي، وَيَبْدَأُ التَّغْيِيرَ فِي حُدُودِهِ الْمَدِيدَةِ.

كُلُّ حَرْفٍ دُنْيَا مِنَ الْأَلْوَانِ، تَنْسُجُ الْمَكَانَ ثَوْبًا
مِنْ أَنْخِطَافٍ بِلا حُدُودِ.

وَعِنْدَمَا تَمْتَدُّ النُّعْمَةُ إِلَى أَرْجَاءِ كَائِنِي، تَمْرِينِ يَدِكَ
عَلَى رُوحِي، فَيَنْتَفِضُ الْفَرْحُ فِيهَا، وَتَعْمُرُ بِالْأُعْنِيَاتِ،

تَلَوَّهَا رِقَّتِكَ النَّازِلَةُ مِنَ السَّمَاءِ، فِي ثَوْبٍ أْبْيَضَ
كَالثَّلْجِ، وَتَأْوِي إِلَى رَوْحِكَ فِي تَرْزِيمَةِ الْأَبَدِ.

هَذَا أَوَانُ الزَّفَافِ، أَوَانُ الزَّمَنِ الْجَدِيدِ:

كُلُّ أَرْضٍ سَمَاءٌ،

كُلُّ حَرْفٍ نَشِيدٌ.

وَلَا شَيْءَ... لَا شَيْءَ غَيْرَ رَوْحِنَا تَتَعَانَقَانِ عَلَيَّ

أَمْوَاجِ النُّورِ، فِي بَهَاءٍ لَا حَدَّ لَهُ.

لَا شَيْءَ غَيْرَ قَلْبَيْنَا يَفْرَأَانِ إِنْجِيلِ الْوَحْدَةِ، بَيْنَ

أَبْتِسَامَاتِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَجْرَاسِ الرَّجَاءِ الَّتِي تَفْرَعُ فِي أَنْحَاءِ

الْكِيَانِ.

لَا شَيْءَ غَيْرَ خُطَانَا تَسْلُكُ طَرِيقَ الْفِرْدَوْسِ

الْمُسْتَعَادِ.

(٢٤ - ٢٨ / أيار / ٢٠١٧)

ديزيره سقال

ملك الوقت



٢٠١٨

الخارجة من الصلوات

خَرَجْتَ مِنَ النُّورِ نَحْوِي
 فَمَا عُدْتُ أُبْصِرُ شَيْئًا...
 وَلَوْنْتُ بِالنُّورِ هَذَا الظَّلَامَ
 الَّذِي حَاصَرَ الْأَرْضَ فِي مُقَلَّتِيَا،
 وَشَرَّعْتِ بَابَ كِيَانِي
 لِيَدْخُلَ طَيْفُكَ مِثْلَ صَلَاةٍ
 رَمَتْهَا السَّمَاءُ إِلَيَّا...
 فَكَيْفَ تَوَحَّذْتِ فِيَّ
 وَلَوْنْتُ فِي الْقَلْبِ مَا كَانَ حُلْمًا؟
 وَكَيْفَ خَرَجْتَ مِنَ الحُلْمِ
 ثُمَّ أَنْسَكَبْتِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ؟

وَعَيْنَاكَ قُدَّاسُ وَحِيٍّ،
 شَرَارَةٌ لَيْلٍ تَصَفَّى بِلَوْنِ الْقَصِيدَةِ —
 وَعَيْنَاكَ أَنْتَ الْقَصِيدَةُ
 تُوشِّحُ أَحْرَفَ قَلْبِي بِلَوْنِهِمَا
 فَيَصِيرُ الظَّلَامُ
 أْبَيْضًا مِثْلَ ثَلْجِ الصَّلَاةِ الْمُدِيدَةِ
 تَنْسُجُ الشَّعْرَ مِنْ حَفَقِ هَذَا الْفُؤَادِ.
 وَيَعْدُو الْكَلَامُ
 رِذَاذَ التَّرَاتِيلِ فِي قِمَّةِ الْوَجْدِ...
 كَانَ الْقَمَرُ
 يَسِيلُ بِفِضَّتِهِ لِيُلَوِّنَ بَسْمَاتِكَ الْوَادِعَاتِ،
 وَيَرْحَلُ فِي شَعْرِكَ الْمَتَهَدِّلِ حَيْثُ يَنَامُ
 وَيَنْسَى الْبَشَرَ...

خَرَجْتَ مِنَ النُّورِ نَحْوِي
فَمَا عَادَ شَيْءٌ جَلِيًّا...
وَلَوَّتَنِي بَوْدَاعَةِ قَلْبِكَ
حَتَّى صَدَعْتَ كِيَانِي
وَأَوْغَلَ دِفْءُ حَنَانِكَ فَيًّا
فَكَيْفَ تَسَلَّلْتَ فِي الْقَلْبِ
ثُمَّ انْسَكَبْتَ مِنَ الصَّلَوَاتِ عَلَيَّا؟

٢٠١٧ / ٢ / ١١

تنقطن علي دمي

تَنْقَطِرِينَ عَلَيَّ دَمِي
مِثْلَ الْأَثِيرِ مِنَ السَّمَاءِ،
وَتَقُودُنِي رُوحِي إِلَيْكَ
فَأَرْزَمِي فِيهَا كَطِفْلٍ
أَشْرَقَتْ فِي قَلْبِهِ
شَمْسُ الْهِنَاءِ.
مِنْ أَيِّ حَلْمٍ جِئْتِ
حِينَ تَكَسَّرَتْ رُوحِي،
وَمِنْ أَيِّ الْأَنْشِيدِ أُنْحَدَرْتِ
لِتَغْسِلِي حُزْنِي
وَتَغْتَسِلِي بِأَنْوَارِ الْبَهَاءِ؟

تَتَقَطَّرِينَ عَلَى دَمِي
 فَتَضْوَعُ رُؤْيَا فِي حُرُوفِي؛
 وَتَمُرُّ كَكُفِّكَ كَالْمَلَائِكِ عَلَى خَرِيفِي
 لِأَعُودَ أَحْضَرَ فِي الزَّمَانِ الصَّعْبِ.
 كَمْ صَلَّيْتُ فِي عَيْنَيْكَ -
 عَيْنَاكَ الصَّلَاةُ
 وَوَدَاعَةُ الدُّنْيَا تَسِيلُ بِهَمْسِكَ الدَّقَاقِ
 مِنْ قَلْبِ الْحَيَاةِ.

تَتَقَطَّرِينَ عَلَى دَمِي
 فَأَطِيرُ فِي دُنْيَا جَدِيدَةٍ.
 صِرْتُ الْحُرُوفَ أَخْطُهَا بِمِدَادِ قَلْبِي -
 صِرْتُ فِي دَمِي الْقَصِيدَةَ.

طيف

يَمُرُّ عَلَيَّ طَيْفُكَ كَالنَّسِيمِ،
وَقَلْبُكَ الْمَسْكُونُ بِالْأَضْوَاءِ
يَفْتَحُ بَابَهُ لِأَعْلَى فِيهِ...
وَيَرْفَعُنِي إِلَى عَيْنَيْكَ أُغْنِيَةً
تُهْدِيهِدُهُ، وَتَغْمُرُهُ، وَتَحْمِيهِ...
وَأَنْتِ أَرْقُ مِنْ عَبَقِ الْأَثِيرِ
يُفْتَحُ الْأَحْلَامَ فِي شِعْرِي،
وَيَسْقِيهِ...
وَأَنْتِ حَرَارَةُ الرَّؤْيَا
مَتَى بَرَدَتْ حُرُوفُ قَصِيدَتِي
تَنْزَلُ الْإِيحَاءَ فِي قَلْمِي،
وَتَحْضِنُهُ، وَتَرْوِيهِ.
وَأَنْتِ الشُّعْرُ... كُلُّ الشُّعْرِ...

تُنْسِينِي جِرَاحَ الْوَقْتِ فِي قَلْبِي...
وَجَسْمِكَ مِنْ أَثِيرِ الظَّنِّ أَحْلَى
يَسْكُبُ الْأَنْوَارَ فِي قَلَمِي، وَيُحْيِيهِ.
أَمْرٌ عَلَيْهِ فِي حَرْفِي
وَأَمْسَحُهُ بِزَيْتِ الشَّعْرِ،
أَسْكُنُهُ، وَأُدْفِيهِ،
وَأَنْسَى أَنَّنِي فِي الْكُونِ -
يَخْطِفُنِي بِعَيْنِكَ الْبَهَاءُ
فَأَرْسُمُ الدُّنْيَا عَلَى عَيْنَيْكَ
أَحْلَامًا تُرَوِّيه...
وَأَرْحَلُ فِي بَحَارِ الْوَحْيِ عَبْرَكَ -
كُلُّ ضَوْءٍ شَعَّ مِنْ عَيْنَيْكَ
أَحْضِنُهُ، وَأَنْشُرُهُ، وَأَطْوِيهِ...
لِأَنَّكَ صِرْتِ كُلِّ الشَّعْرِ
فِي رُوحِي،

يُواسيني،

وَأَكْتُبُهُ عَلَى صَفْحَاتِ قَلْبِي

كَيْ يَصِيرَ الْكُونُ أَجْمَلَ

فِي تَجَلِّيهِ...

٢٠١٧ / ٣ / ٨

أنام بعينيك

أَنَامُ بِعَيْنَيْكَ طِفْلاً صَغِيراً يُجْمَعُ فِيهَا بُحُومَ الْحُبُورِ،
 وَيُنْسَى، مَتَى نَامَ، عَالَمَهُ، وَيَرَحَلُ فِي أَفُقٍ مِنْ عُطُورِ،
 وَيُغْرِيه فِيكَ شُعُورٌ رَقِيقٌ، أَرَقُّ مِنْ الضَّوِّءِ هَذَا الشَّعُورِ.
 كَأَنَّ الْمَدَى وَنِظَامَ النُّجُومِ يَشَعُّ بِعَيْنَيْكَ شَلَّالَ نَوْرِ،
 وَحَتَّى كَأَنَّ فُؤَادِي صَارَ شَفِيفاً، يُوشِيهِ ضَوْعٌ بِخُورِ.

٢٠١٧ / ٣ / ١٣

لأنَّكَ صرَّتِ ربيعَ حياتي

لأنَّكَ صرَّتِ ربيعَ حياتي
 أُواري هُمومي،
 وَأُخْرِجُ مِنْ عَيْهَبِ الحُزْنِ،
 أُشْعِلُ رُوحَكَ فِي كَلِمَاتِي
 وَأُغْدُو بِعَيْنَيْكَ
 أَشْوَاقَكَ الحائِراتِ ...

لأنَّكَ صرَّتِ الرِّبيعَ،
 وَصارتَ حياتي بِقُدَّاسِ قَلْبِكَ
 قَوْسَ قُرْخٍ
 أُعَبِّئُ رُوحِي بِرُؤْيَاكَ
 أَلحانَ وَرْدٍ، وَنورَ فَرَحٍ ...

تَلَاشَيْتُ فِيكَ ...
وَعَبْتُ وَعُدْتُ ...
وَطَرْتُ بِفِرْدَوْسِ بَرُوحِكَ
طَيْرًا صَدَحَ ...
وَمَا زِلْتُ فِيكَ أُصَلِّي،
وَأَنْسَى الزَّمَانَ الَّذِي كَسَرَ الْقَلْبَ ...
مَا زِلْتُ أُمْسِكُ كَفِّكَ ...
كَيْ لَا أَضِيعَ،
وَأَسْكُنُ قَلْبِكَ ...
كَيْ لَا أَضِيعَ،
وَأَرْحَلُ فِي وَرْدِ تَغْرِكَ ...
كَيْ لَا أَضِيعَ ...
أُسَافِرُ فِيكَ
لِأُدْرِكَ ذَاتِي
وَأَلْأَمَ فِيهَا نِتَارَ حَيَاتِي،

وَأَشْبَعَ مِنْ نَعَمَاتِ السَّمَاءِ...
أُسَافِرُ فِيكَ...
وَأَبْقَى لَدَيْكَ
أَرِيحًا تَلَوَّنَ فِي نَاطِرِيكَ
لِيَعْكُوسَ رُوحَكَ ضَوْعَ بَهَاءِ...

٢٠١٧ / ٣ / ٢٢

فتاة

أَنَا مُ بِقَلْبِكَ
 مِثْلَ ضَبَابٍ رَقِيقٍ،
 وَأُوْلَدُ فِي مُقْلَتَيْكَ
 لِأَبْقَى صَبِيًّا صَغِيرًا،
 وَأَرْحَلُ فِي حُلْمِكَ الْمَتَفَتِّحِ،
 أَنَسَى حُدُودَ الطَّرِيقِ،
 وَأَشْعُرُ أَنِّي أَتَيْتُهُ كَثِيرًا...

أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ الْوَقْتِ نَحْوِي —
 كَيْفَ خَرَجْتَ؟
 وَكَيْفَ أَتَيْتَ إِلَيَّ؟
 عَمَرْتَ وُجُودِي بِنُورِ رَقِيقِ
 يَفِيضُ عَلَيَّ،

وَلَوُتُّنِي بِأَيُّضَاضِ الْحُبُورِ،
وَصِرْتِ مَلَكَ السَّعَادَةِ فَيَا...
فَيَا وَقْتُ،
كَيْفَ انْكَسَرْتَ عَلَيْهَا؟
وَكَيْفَ تَبَحَّرْتَ فِي نَاطِرِهَا
لِتَبْقَى ضَبَابًا رَقِيقًا بِقَلْبِي،
وَتَبْقَى فَتَاهًا
يُهْدِدُهَا الْحُلْمُ فِي نَاطِرِيَا...؟

٢٠١٧ / ٣ / ٢٥

رِقَّة

تَفَتَّحَتْ فِي قَلْبِي الْمَتْحَطِّمِ
حَتَّى سَمَّمْتُ بِقَلْبِكَ لَوْنَ الْحَبُورِ،
وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنِّي
سَأَنْشُقُ، بَعْدُ، أَرْجَاءَ،
وَلَا سَوْفَ أَشْعُرُ يَوْمًا بِطَعْمِ الْحُضُورِ...
وَلَا كُنْتُ يَوْمًا
أَظُنُّ بِأَنِّي سَأَلْتَنِي مَلَكًَا جَدِيدًا
يُشْرَعُ بَابَ كِيَانِي،
وَيُصْبِحُ أَهْزُوجَةً
تَمَلَأُ الْحُزْنَ نُورًا
وَتَحْتَلُّ كُلَّ زَوَايَا زَمَانِي...
وَكَانَ الْأَسَى
يَتَكَدَّسُ فِي الْقَلْبِ...

كالفحْم...
 حَتَّى نَسِيْتُ الصَّفَاءَ
 وَكَيْفَ تَكُونُ الأَغَانِي...
 وَجِئْتُ مِنَ الأُعْنِيَاتِ
 أَرْقَّ مِنَ الضَّوِّءِ
 فَالْتَأَمَ القَلْبُ لِحُظَّةِ لَامَسْتِهِ
 وَتَكَرَّرَ نَبْضُ الوجودِ
 لِيَدْفُقَ فِيَّ الحَيَاةَ،
 وَأَدْرَكْتُ أَنَّكَ أَنْتِ هُنَا
 تَعْبُرِينَ كَهَمْسِ الصَّلَاةِ
 وَلَا شَيْءَ فِيكَ سِوَى رِقَّةٍ
 كَبَيَاضِ المَلَائِكِ،
 وَهَمْسِ القَصِيدَةِ
 تَعَجُّزُ عَنْ نَقْلِهَا الكَلِمَاتِ...

تَفْتَحْتِ فِي قَلْبِي الْمَتَحَطِّمَ
فَانْصَدَعِ الْمَوْتُ
وَأَنْزَاحِ وَجْهَهُ الْأَسَى،
فَلِمَاذَا تَخَافِينَ أَنْتِ الظَّلَامَ
وَفِيكَ الضِّيَاءُ تَدَقَّقَ
أَقْوَى مِنْ الشُّعْرِ
يَغْسِلُ مَا يَتَحَرَّكُ
بَيْنَ جِرَاحِ الْكَلَامِ...؟
تَفْتَحْتِ فِيَّ
وَمَا فِيكَ غَيْرُ حُضُورٍ رَقِيقِ
أَرْقَّ مِنَ الضَّوْءِ
يَرَأُبُ فِيَّ انْكِسَارَ صَلَاتِي،
وَيَرْفَعُ عَنِّي الدَّامِعَةَ
خِنَاقَ مَمَاتِي،

وَلَا ذَنْبَ فِيكَ
سِوَى أَنَّ رِقَّتِكَ النَّاصِعَةَ
تَرُدُّ إِلَيَّ حُضُورِي
وَتَغْسِلُ بِالْفَرْحِ الشَّرَّ
كُلَّ حَيَاتِي ...

٢٠١٧ / ٤ / ٢١

مصير

لماذا

إِذَا كُنْتَ عَنِّي بَعِيدَهُ
 أَحْسَسُ الْمَدَى يَتَكَسَّرُ فَيَّا،
 فَأَبْحَثُ فِي الْفِكْرِ عَنكَ،
 لِأَدْخُلَ بَابَ سَمَاءٍ جَدِيدَهُ
 وَيَنْهَلَّ مِنْ قَلْبِكَ النُّورَ دِفْقًا عَلَيَّا؟

وحين أراك

وَقَدْ ضِعْتُ فِي غَمِّمَاتِ الْكَآبَةِ
 أَنْفُضُ عَنْ قَلْبِي الْمَتَجَرِّحَ
 كُلَّ دَمُوعِي،
 وَأَرْحَلُ فِي مَقَلَّتَيْكَ...

كطِفْلٍ صَغِيرٍ...
 كطِفْلٍ تَعَلَّمَ مِنْكَ الصَّفَاءَ
 فَشَفَّ...

وَصَارَ بَعَيْنَيْكَ أَنْتِ يَطِيرُ... —
 أَطِيرُ بَعَيْنَيْكَ حِينَ تَمْسَانِ رُوحِي،
 وَأَنْسَى كِيَانِي،
 وَأُخْرِجُ مِنْ عَالَمِي —
 يَتَكَسَّرُ فِي زَمَانِي،
 وَأُلْقِي بِنَفْسِي فِي النُّورِ...
 حَتَّى أَصِيرُ
 رَذَاذَا يَغْطِي فُؤَادَكَ،
 يَحْمِيهِ مِنْ كُلِّ دَمَعٍ،
 وَأَقْبِلُ طَوْعًا بِهَذَا الْمَصِيرِ...

امراة

آوي إِلَيْكَ
 حِينَ يُسْدِلُ الْأَسَى سِتَارَهُ،
 أَنَامُ فِي فُؤَادِكَ،
 أَنَسَى الدُّجَى عَلَى وِسَادِكَ...
 وَصَوْتُكَ الْهَامِسُ مِثْلَ غَيْمَةٍ
 تُطْفِئُ فِي قَرَارَتِي الْحَرِيقَ...

آوي إِلَيْكَ
 حِينَ يَفْرُغُ الْوَجُودُ مِنْ سَعَادَةٍ
 فَيَعْتَقُ الْكِيَانَ مِنْ فَرَاغِهِ
 وَيَمْتَلِي بِالنُّورِ وَالْبَرِيقِ...
 وَتُصْبِحُ الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِي أُغْنِيَاتٍ

تُعَانِقُ الحَيَاةَ
لِأَنَّهَا مِنْ ثَغْرِكَ الرِّقِيقِ... .

أُوي إِلَيْكَ
حِينَ يَنْسُجُ الظَّلَامُ فِي كِيَانِي
خُيُوطَهُ،
يَنْسَلُّ فِيَّ عَنْكَبُوتٌ،
وَحِينَمَا أَحْسُ أَنِّي... أَمُوتُ،
وَتُعْتِمُ الأَمَانِي...
فَأَنْهَلُ الحَيَاةَ
مَرَّةً جَدِيدَةً
وَأَحْتَمِي بالنورِ فِي عَيْنَيْكَ،
بالبَقَاءِ وَالْفَرَحِ:
تُعْتِفُنِي الحَيَاةُ وَالْمَرَحُ،

وَأَسْتَعِيدُ ذَاتِي الَّتِي أَضَعْتُهَا

فِي عُرْبَةِ الزَّمَانِ —

أَرَى الْوُجُودَ فِي عَيْنَيْكَ بِسْمَةٍ

وَأَمْرًا نَازِلَةً إِلَيَّ

مِنْ قَوْسٍ قُنُحٍ...

٢٠١٧ / ٤ / ٣٠

غِيَاب

تَبَاعَدَ وَجْهُكَ فِي غَيْمَةِ الْحَزَنِ
وَأُنْجِرَحَ الْفَرْحِ الْمَتَقَايِزُ فِي الْقَلْبِ.
كَانَ الظَّلَامُ
يُعَشِّشُ فِي الرُّوحِ
بَعْدَ ابْتِعَادِ السَّلَامِ.
لِمَاذَا تَوَارَيْتِ
فَانْكَسَرَ النُّورُ،
وَاحْتَجَبَ اللَّهُ خَلْفَ سُكُوتِ الصَّلَاةِ،
وَأَعْتَمَ قَلْبِي بِهَوْلِ السُّكُوتِ
وَمَدَّ الْأَسَى فِيهِ خَيْطَانَهُ عَنْكَبُوتٍ؟
كُلُّ نَوْرٍ حَمَلَتْ إِلَيَّ اخْتَفَى...
صِرْتُ وَحْدِي
أَلْمَلِيمُ أَنْقَاضَ قَلْبِي،

أَلَا حِقُّ ظِلِّ فُؤَادِكَ ...

عَلَّ الثَّوَانِي

تَرُدُّ إِلَيَّ بِقَايَا طُيُوفٍ

هُنَا وَهُنَاكَ

تَبَعَثَرَنَ بَيْنَ حُطَامِ كِيَانِي ...

وَيُحْرِفُنِي الصَّمْتُ ...

يَكْسِرُنِي الْحُزْنُ ...

أُفْرَغُ مِنِّي

وَقَدْ غَبَّتْ عَنِّي

وَعَابَ زَمَانِي ...

لِمَاذَا، إِذَا، أَتَحَرَّكَ فِي طُرُقَاتِ الْحَيَاةِ

وَلَيْسَ سِوَى التَّيِّهِ وَالصَّمْتِ وَالْمُسْتَحِيلِ؟

وَكَيْفَ أُوَارِي أَنْكَسَارِي

وَبَيْنِي وَبَيْنِي

مَدَى يَتَّهَاوَى،

وَحُزْنٌ ثَقِيلٌ؟

أَشَحَّتِ بَوَجْهِكَ
فَأَنْكَسَرَ النُّورُ وَاللَّهُ وَالصَّلَاةُ
وَعَامَتُ زَوَايَا الْحَيَاةِ...
وَلَيْسَ لَدَيَّ،
وَقَدْ صِرْتُ مُنْكَسِرًا مَرَّتَيْنِ،
سِوَى أَلَمْ يَتَمَدَّدُ كَالْمَوْتِ،
يُفْرِغُنِي لِأَغْيَبِ —
وَكُلُّ الْمَدَى فَارِعٌ... فَارِعٌ...
كُلُّ حَرْفٍ خِوَاءٌ.
أَشَحَّتِ بَوَجْهِكَ أَنْ أَنْتَظَرْتُ بِحَلِّكَ
فَأَنْكَسَرْتُ فِي قَرَارِي السَّمَاءِ
وَضَاعَ ضِيَاءُ الْحُرُوفِ —

فَلَا شِعْرَ، بَعْدُ،
 سِوَى غَمَعَمَاتٍ بُكَاءٍ...
 وَلَا شَيْءٍ إِلَّا السُّكُونُ
 الَّذِي يَطْعَنُ الدَّاتَ بِالْحَزْنِ
 يَمْلَأُنِي بِالْهَبَاءِ،
 فَكَيْفَ أُمَارِسُ فَنَّ الْكِتَابَةِ، بَعْدُ،
 وَكُلُّ حُرُوفِي بُكَاءٌ؟
 وَكَيْفَ الْأَحِقُّ وَجْهَكَ كَالطُّفْلِ،
 أَحْضِنُ نُورَ ابْتِسَامَةِ قَلْبِكَ فِيَّ
 وَقَلْبِي حُطَامٌ؟
 وَكَيْفَ تَعُودُ إِلَيَّ الْقَصِيدَةُ
 أَوْ يَنْشُرُ الشَّعْرُ فِيَّ جَنَاحًا
 وَكُلِّي ظِلَامٌ...؟

عينك أنت السماء

تَنَامِينَ فِي الْقَلْبِ مِثْلَ مَلَائِكَةٍ

أَرْقَّ مِنَ النُّورِ فِي حُبِّهِ الْحَارِقِ،

وَتَرَسُّمُ كَفَّاكِ دِفْئًا

يُعِيدُ إِلَيَّ حُبُورِي

وَيَسْحَبُنِي مِنْ أَدَى الزَّمَنِ السَّارِقِ

فَيَنْبِضُ ثَانِيَةً فِيَّ

كُلُّ شُعُورِي،

وَأَعْرِفُ أَيَّ

رَسَمْتُ بِعَيْنَيْكَ وَجْهِي وَقَلْبِي

وَنَمْتُ عَمِيقًا...

عَلَى قَلْبِكَ الْمُطْمَئِنِّ،

وَأَنَّ شُعُورَكَ يَرَأُبُ ذَاتِي

وَيَجْعَلُنِي وَحْدَهُ دَافِئًا

لِيُعِيدَ إِلَيَّ حُضُورِي
وَتُشْرِقَ فِيهِ حَيَاتِي ...

تَنَامِينَ فِي الْقَلْبِ
مِثْلَ مَلَائِكَةٍ
يَلْمُ حُطَامِي
وَيَجْعَلُنِي أَتَجَدَّدُ
بَعْدَ انْهِيَارٍ بِبَحْرِ ظَلَامِي ...
فَهَاتِي يَدَيْكَ
لِنَخْرُجَ مِنْ سِجْنِ هَذَا الْأَسَى،
مِنْ حِصَارٍ
تَسَلَّلَ كَاللِّصِّ بَيْنِي وَبَيْنِكَ،
مِنْ وَجَعٍ مُسْتَدَامٍ ...
وَهَاتِي يَدَيْكَ

لِنَرْحَلَ فِي أَفْقِ النُّورِ
نَحْوَ ابْتِسَامِ الضِّيَاءِ.
يَدَيْكَ ... يَدَيْكَ ...
لِأَرْجَعِ طِفْلاً يَشْفُ
وَيَرْقَى إِلَيْكَ —
وَعَيْنَاكَ أَنْتِ السَّمَاءُ ...
أَعُودُ إِلَيْهَا،
وَأَقْطِفُ مِنْ نَاطِرِيكَ
بَرِيقَ الضِّيَاءِ.
يَدَيْكَ ... يَدَيْكَ ...
لِأَرْقَى إِلَى فَوْقِ،
يَرْفَعُنِي جَانِحَاكَ،
وَتَبْقَيْنَ أَنْتِ مَلَائِكِي
يُسَاكِنُ قَلْبِي،
وَيَزْرَعُ فِيهِ وُرُودَ الْهِنَاءِ،

وَأَبْقَى بِعَيْنَيْكَ طِفْلاً صَغِيرًا،
فَعَيْنَاكَ أَنْتِ مَلَائِكَةٌ يُصَلِّي
لِيَهْدَأَ قَلْبِي،
وَعَيْنَاكَ أَنْتِ السَّمَاءُ...

٢٠١٧ / ٥ / ٧

الآتية من خاطر الوقت

تَجِيئِينَ مِنْ خَاطِرِ الْوَقْتِ

نورًا رَهيفًا

يُفْتَحُ فِي قَلْبِي الْفَرَحَ الْغَائِبَا،

وَأُمْسِكُ، حِينَ أَرَاكَ، بِذَاتِي،

أَعَانِقُ فِي قُدْسِ قَلْبِكَ رَبِّي

وَأَكْشِفُ نَفْسِي لَهُ تَائِبًا...

تَجِيئِينَ مِنْ خَاطِرِ الْوَقْتِ

سِرًّا عَمِيقًا

أُكَاشِفُهُ لِیُفِيقَ كِيَانُ السَّمَاءِ

وَيَرْسُمَ فِي قَلْبِي الْمَتْحَطِّمَ،

حِينَ يُلَامِسُهُ دِفْئُكَ الثَّرُّ،

لَوْنَ الْبَهَاءِ...

وَأَنْسَى حُضُورِي

متى دُبْتُ فِي نَاطِرِيكَ،
 كَأَنَّ حُدُودَ الرَّجَاءِ
 كُلُّهَا اجْتَمَعَتْ، إِذْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ،
 لِتُفْتَحَ فِيَّ حُبُورِي،
 وَتَرَابَ قَلْبِي ... قَلِيلًا ... قَلِيلًا ...
 وَتُبْعِدَ عَنِّي ظِلَامَ الْفَنَاءِ ...

تَجِيئِينَ مِنْ خَاطِرِ الْوَقْتِ
 ظِلَّ مَلَائِكِ
 أَرَقَّ مِنَ الشُّعْرِ حِينَ يَصِيرُ صَلَاةً،
 كَأَنَّ يَدَ اللَّهِ تَمَسَّحَنِي بِالصَّفَاءِ،
 وَأَرْجِعُ، بَيْنَ يَدَيْكَ، صَغِيرًا،
 وَأَنْسَى بِعَيْنَيْكَ كُلَّ زَمَانِي،
 وَتَلْمَعُ فِيَّ حُدُودَ السَّمَاءِ ...

تَجِيئِينَ مِثْلَ مَلَائِكٍ
وَتَحْتَصِرِينَ بِلَفْتَةِ قَلْبِكَ كُلَّ الْأَمَانِي،
لِأَبْقَى هُنَا...

ذَاهِلًا فِي حُضُورِكَ
يَحْمِلُنِي خَارِجَ الْوَقْتِ،
خَارِجَ هَذَا الْمَكَانِ،
وَلَا شَيْءَ...

لَا شَيْءَ، بَعْدُ، سِوَاكَ...
وَلَا صَوْتَ أَسْمَعُ،
لَا صَوْتَ غَيْرِ صَدَاكَ...
أَمُوتُ بِقَلْبِكَ، أَفْنِي هِيَامًا،
وَأُذْرِكُ أَيَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ،
وَأُذْرِكُ أَنَّكَ أَنْتَ مَلَائِكِي...

عَيْنَاكَ

مُتَجَمِّعًا فِي قَلْبِكَ الشَّقَافِ
 أَخْرُجُ مِنْ كِيَانِي،
 وَتَشُدُّ بِي عَيْنَاكَ نَحْوَ النُّورِ
 كَيْ أَصْفَى،
 فِيهِ جُرْنِي زَمَانِي،
 وَأَرَى بِعَيْنَيْكَ الْوُجُودَ يَعُودُ بِكَرًّا،
 أَخْضَرًا كَسَحَابَةِ الْفَرْحِ الشَّفِيفِ
 وَكَاخْتِلَاجَاتِ الْهَيْامِ
 إِذَا تَسَلَّلَ مِنْ كِيَانِكَ
 وَارْتَمَى فِي قَلْبِي الْمَفْتُوحِ.
 عَيْنَاكَ الْعَبُورُ
 تَتَدَقَّقَانِ عَلَيَّ مَعَابِرِ غُرَّتِي
 فَأَعُودُ مُلْتَمِّمًا،

وَأَخْرُجُ مِنْ مَرَارَاتِي،
 وَيُذْهِلُّنِي النُّشُورُ...
 وَأُطِلُّ مِنْ حُزْنِي عَلَى فَرْحٍ
 يَطِيرُ بِدَائِي الْكَلْمَى،
 وَيَخْرُجُ بِي إِلَى أَفُقٍ مِنَ الْأَضْوَاءِ.
 عَيْنَاكَ الْمَدَى الشَّقِيقِيُّ
 عِنْدَ نَهَايَةِ الزَّمَنِ الْبَلِيدِ
 وَعِنْدَ بَابِ الْحُلْمِ يَأْخُذُنِي إِلَى كَوْنٍ جَدِيدِ.
 عَيْنَاكَ مَجْبَرْتِي
 أَعْطُ بِجَبْرِ نَوْرِهِمَا الْبِرَاعَ
 فَتَنْبِضُ الْكَلِمَاتُ،
 يَنْتَفِضُ الشُّعُورُ
 وَيَطِيرُ نَحْوَ بَهَائِكَ الْمَسْكُونِ بِالْأَلْقِ الطَّوِيلِ.
 هُنَا الْحُضُورُ
 أَقْوَى مِنَ الْمَوْتِ الْعَقِيمِ.

هنا السماءُ.

هنا شروقُ الحلمِ

تَحْمِلُهُ إِلَى الدُّنْيَا ابْتِسَامَاتٌ وَنُورٌ...

وَهُنَا الرَّحِيلُ إِلَى الصَّفَاءِ

يَقُودُ وَجْهَتَهُ الحُبُورُ.

عَيْنَاكِ مَحْبَرَةُ الدُّهُولِ

يُحِطُّ حَبْرُهُمَا قَصِيدَتِي الَّتِي لَا تَنْتَهِي.

عَيْنَاكِ كُلَّ الشُّعْرِ

يَنْقُلُنِي إِلَى حُلْمِ السَّمَاءِ

وَيَمْسَحُ الدُّنْيَا العُبُورُ...

عَيْنَاكِ كُلَّ الشُّعْرِ

أُغْرِقُ فِيهِمَا قَلْبِي

لِتَفْضَحَ سِرَّهُ هَذَا السُّطُورُ...

صلاة

أَذُوبُ بِعَيْنَيْكَ
 مِثْلَ رَذَاذِ الْمَطَرِ،
 وَأَغْرِلُ رُوحِي عَلَى قَلْبِكَ الْمُتَوَحِّدِ،
 أَنْسَلُ فِيهِ كُنُورَ السَّحَرِ،
 وَأَنْسَى بِنُورِكَ عُمْرِي،
 وَأَنْسَى وُجُودِي،
 وَأَنْسَى جَمِيعَ اللَّبَشَرِ...

يَذُوبُ عَلَى شَعْرِكَ اللَّيْلِ
 وَهُوَ خَشُوعٌ،
 وَيَمْسَحُهُ بِالصَّلَاةِ،
 وَتَرَحَّلُ كَفِّي بِحُصَلَاتِهِ،

تَفَرُّ الشُّعْرُ مِنْكَ،
لِتَنْبُضَ فِيَّ الْحَيَاةُ...
وَأَنْتِ التَّرَاتِيلُ
تَنْزِلُ فِيَّ مِنَ الْمَلَكُوتِ،
وَتَسْحُبُنِي...
لِأَذُوبَ رَقِيقًا عَلَى الْكَلِمَاتِ...
وَأَنْتِ حُضُورُ الْإِلَهِ بِقَلْبِي،
حُضُورُ الْإِلَهِ الَّذِي ضَاعَ مِنِّي
يُشْرِعُ رُوحِي بِنُورِ فُؤَادِكِ،
يَرَسُمُ وَجْهَ السَّمَاءِ
بِعُمُقِ كِيَانِي
لِأَنْسِيَ الحُضُورَ بَعِينِيكَ،
أَنْسِيَ وُجُودِي،
وَأَنْسِيَ زَمَانِي...
فَكَيْفَ، إِذَا،

لَا أَكُونُ أُصَلِّي
مَتَى انْتَشَرَ الْقَلْبُ بَيْنَ يَدَيْكَ
وَأَخْصَبَ فِي حُقُولِ الرَّجَاءِ؟
وَكَيْفَ أُضَيِّعُ، بَعْدُ، إِلَهِي
وَأَنْتِ رَسَمْتِ بِضَوْءِ كِيَانِكَ فِيَّ
حُدُودَ السَّمَاءِ؟

٢٠١٧ / ٦ / ٣

ولادة

وُلِدْتُ بِقَلْبِكَ
 حِينَ انْكَشَفَتْ لِقَلْبِي،
 وَأَيَّقَظَتْ فِيَّ حُدُودَ السَّمَاءِ.
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنَّكَ أَنْتَ رَجَائِي
 وَكَانَ بِقَلْبِي يَضِيعُ الرَّجَاءُ...
 وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ
 أَنَّكَ أَنْتَ اكْتِمَالُ لِرُوحِي
 وَأَنْيَّ، إِذَا مَسَّ قَلْبِي، ضِيَاؤُكَ
 غَيَّرَتْ فِيَّ الْقَضَاءُ...
 وَعُمُرُكَ يَبْدَأُ مِنِّي...
 وَعُمُرِي، بِعَيْنَيْكَ، أَنْتَ
 أَتَسَامَةُ حُبِّ،

وَكَوْنُ أَشَدُّ صَفَاءً
 مِنْ الْفَرْحِ الْمَتَقَطَّرِ
 فِي غَمَمَاتِ الضِّيَاءِ.
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنَّكَ أَنْتِ نَشِيدُ حَيَاتِي
 وَصَوْتُ السَّمَاءِ عَلَى كَلِمَاتِي،
 وَأَنَّكَ أَنْتِ اكْتِمَالُ كِيَانِي
 وَذَوْبُ الْفَرَادِيسِ فِي كُلِّ ذَاتِي...
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ أَنَّ الْإِلَهَ
 يَطِيرُ بِرُوحِي إِلَى قَلْبِهِ
 عَبْرَ هَذَا السَّنَاءِ...
 وَأَنْتِ الَّتِي دُبْتُ فِي خَاطِرِي
 بِسَمَةِ مَنْ رَجَاءِ السَّمَاءِ
 وَمَنْ مُنْتَهَى الْعِشْقِ حِينَ يُجِنُّ الْأَسَى
 وَيَفِيضُ الْمَسَاءُ...

فَكَيْفَ، إِذَا،

لَا تَكُونِينَ مِرَّةً رُوحِي

وَأَنْتِ رَسَمْتِ بِهَا لَحْنَ رُوحِكِ

ثُمَّ مَحَّوْتِ بَعَيْنِيَّ

كُلَّ جَمَالِ سِوَاكِ،

وَصِرْتِ مَلَائِكِي

وَصَارْتِ بَعَيْنَيْكِ أَنْتِ،

بَعَيْنَيْكِ وَحَدَكِ أَنْتِ،

حُدُودُ جَمِيعِ النِّسَاءِ...؟

نَبْضُ صَلَاةٍ

لِمَاذَا، إِذَا غَبَّتِ عَنِّي،

تَنَافَرْتُ ...

مِثْلَ الضَّبَابِ الرَّقِيقِ

وَمَا عُدْتُ أَعْرِفُ

أَيِّنَ أَكُونُ،

وَلَا كَيْفَ أَمْشِي،

وَلَا كَيْفَ أَكْمِلُ، بَعْدُ، طَرِيقِي ...؟

وَأَنْسَى، إِذَا غَبَّتِ،

كُلَّ وُجُودِي،

وَكُلَّ زَمَانِي،

وَكُلَّ حُدُودِي،

وَأَشْعُرُ أَنِّي انْطَفَأْتُ

فَمَا عَادَ نُورِي يَشِعُّ،

ولا عادَ شَيْءٌ يُرُدُّ بَرِيقِي...
وأَظْمَأُ...

لا ماءَ يَرُوي،
ولا شَيْءَ يُطْفِئُ فِي حَرِيقِي...

وحيثُ تُطَلِّينَ
يَرْجِعُ ضَوْءُ الحِياةِ،
وَتَقْفِرُ، مِنْ فَرَحِي، كَلِمَاتِي...
وَأَعْبُرُ نَحْوَ الضِّيَاءِ،
يُسَوِّرُنِي النُّورُ،
يَرْقِي بِقَلْبِي إِلَى فَوْقُ،
حَتَّى تَسِيلُ السَّمَاءُ
عَلَى غَمَّعَاتِي...
فَكَيْفَ تَكُونُ الحِياةُ حِياةً

بِعَيْرِكَ

وَاللَّهُ لَخَصَّ فِيكَ جَمِيعَ الْبَرَايَا
وَصَيَّرَ قَلْبَكَ نَبْضَ صَلَاتِي...

٢٠١٧ / ٦ / ١٠

ملاك الصلوات

كُلمًا ضاعَ وَجْهُكَ
 خَلْفَ ضَبَابِ القَلْقِ
 ضاعَ قَلْبِي،
 وَبَعَثَرَنِي الصَّمْتُ
 بَيْنَ عُيُومِ الأَرَقِ،
 وَمَا عُدْتُ أَعْرِفُ كَيْفَ أُصَلِّي،
 وَلَا عُدْتُ أَعْرِفُ
 وَجْهَ الصَّبَاحِ المِطَلِّ،
 لِأَنِّي، بِغَيْرِكَ، أَخَسِرُ وَجْهِي،
 وَأَخَسِرُ قَلْبِي،
 وَأَنْسَى، وَقَدْ صِرْتُ ظِلًّا،
 حُدُودَ الأَلْقِ...

وَحِينَ تُطَلِّينَ مِنْ خَلْفِ يَأْسِي
 تُعَوِّدُ إِلَيَّ التُّجُومَ،
 وَأَرْفُو جِرَاحَ فُؤَادِي
 بِنَظَرَتِكَ الْوَادِعَةَ،
 وَيَرْفَعُنِي اللَّهُ،
 يُبْعِدُ عَنِّي هَيْبَ الْجَحِيمِ
 لِأَسْكُنَ، بَعْدَ احْتِرَاقِي،
 بِسَمَتِكَ الرَّائِعَةَ...
 تُطَلِّينَ مِثْلَ مَلَائِكِ
 يَجِيءُ إِلَيَّ
 وَكَانَ تَحْوَلَ عَنِّي
 فَعَرَّشَ ظِلُّ الْأَسَى
 فِي كِبَانِي وَظَنِّي...
 تُطَلِّينَ أَنْتِ مِنَ الصَّلَوَاتِ
 كَنُورِ

أَرَقَّ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ يُصَلِّي،
 يُلَامِسُ قَلْبِي لِأَنِّي انْكَسَرْتُ،
 وَبَمَسْحِ رُوحِي بِزَيْتِ الْمَحَبَّةِ
 وَهُوَ يُعَنِّي،
 وَيَعْرِفُ أَنِّي
 أَمُوتُ إِذَا غَابَ...
 يَعْرِفُ أَنِّي
 أُضِيعُ الصَّلَاةَ،
 وَأَنْسَى الْحَيَاةَ،
 وَأَفْقُدُ فِي حُدُودِ السَّمَاءِ
 وَلَا شَيْءَ فِيهِ سِوَى الْحُبِّ،
 لَا شَيْءَ يُشْرِقُ مِنْهُ
 سِوَى بَسَمَاتِ الضِّيَاءِ...
 تَعُودِينَ أَنْتِ
 وَيَبْعَثُكَ اللَّهُ مِنْ صَلَوَاتِي،

وَيَخْشَى عَلَيَّ، كَمِثْلِكَ أَنْتِ،
يَخَافُ عَلَيَّ
لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّكَ صِرْتِ حَيَاتِي،
جَمِيعَ حَيَاتِي...

٢٠١٧ / ٦ / ١٧

صوت

حِينَ أَسْمَعُ صَوْتَكَ
 تَنْبِضُ فِيَّ الْحَيَاةُ،
 وَتَعْبِقُ رُوحِي بِنُورِ الرَّجَاءِ،
 وَلَيْسَ سِوَاكَ
 يُضِيءُ حَيَاتِي
 وَيُخْرِجُهَا مِنْ جَحِيمِ الْمَسَاءِ...
 وَلَيْسَ سِوَاكَ غِنَاءٌ بِقَلْبِي
 فَمِنْكَ تَعَلَّمْتُ سِحْرَ الْغِنَاءِ.
 وَكُنْتُ نَسِيتُ الضِّيَاءَ طَوِيلًا...
 وَكُنْتُ نَسِيتُ الْمَنَى،
 وَنَسِيتُ السَّعَادَةَ
 حِينَ غَدَوْتُ قَتِيلًا...
 وَلَكِنَّ قَلْبَكَ رَدَّ إِلَيَّ حَيَاتِي،

وَرَصَّعَ رُوحِي مَدَى كَلِمَاتِي،
وَفَتَّحَ فِي كُلِّ حَرْفٍ
وُرُودَ الصَّفَاءِ...
فَكَيْفَ، إِذَا،
لَا أَرَاكَ سَمَائِي
وَأَنْتِ فَتَحْتِ بِقَلْبِي
حُدُودَ السَّمَاءِ...

٢٠١٧ / ٦ / ١٨

حلم

تَأْتِينَ مِنْ حُلْمٍ يَشُدُّنِي إِلَيْهِ،
وَيَمْسَحُ الْفُؤَادَ بِالرَّجَاءِ،
يَدْفُقُ السَّنَا عَلَيْهِ...
وَحَيْنَمَا تَسْحَبُنِي الْوَحْدَةَ
فِي رَوَاقِهَا الطَّوِيلِ
أَرَاكَ وَحَيًّا أَسْمَرًا
يَكْسِرُ صَمْتِي الثَّقِيلِ،
وَيَحْمِلُ الْحُبُورَ فِي يَدَيْهِ...
أَرَاكَ مِنْ لَوْنِ السَّمَاءِ
تَغْسِلِينَ قَلْبِي
وَتُحْرِقِينَ حُزْنَهُ
لِتَزْرَعِي الْحُبُورَ...
وَحِينَ تَلْمُسِينِي يَعُودُ رَبِّي

لَيْسَنُكَنَ الْفُؤَادَ
حَامِلًا حَدِيقَةً مِنْ نَوْزٍ.

تَأْتِينَ مِنْ حُلْمِ السَّمَاءِ
مِثْلَ وَرْدَةِ الرَّجَاءِ
لِتَنْبُضَ الْحَيَاةُ فِي عُرُوقِي الْخَرَابِ.
تَأْتِينَ مِنْ هَمْسِ الصَّلَاةِ
كَالضِّيَاءِ... كَالضِّيَاءِ...
يَخْتَرِقُ الدُّنْيَا
لِتَنْبِتَ الْحَيَاةُ فِي التَّرَابِ.
تَأْتِينَ مِنْ حُلْمِ كَأَنَّهُ مَسِيرَةُ السَّمَاءِ
وَصَوْتُكَ الرَّقِيقُ فِي قُدَّاسِهَا النَّشِيدِ...
وَتَجْمَعِينَ فِي صَفَائِكَ الْفِرْدَوْسَ
وَالصَّلَاةَ وَالسَّنَاءَ

كَأَنَّمَا خَلَقْتِ، بِابْتِسَامَةٍ وَاحِدَةٍ،
 تَارِيخِي الْجَدِيدُ،
 وَصِرْتِ،
 حِينَمَا لَامَسْتُ تُعْرَكَ الرَّقِيقَ مَرَّةً،
 رُوحَ الْإِلَهِ فِي قَرَارِي،
 وَعُمْرِي الْوَحِيدُ...

عَيْنَاكَ لَوْنُ السَّمَاءِ
 وَالْحُبُّ أُعْنِيَّةُ،
 عَيْدٌ مِنَ الرَّجَاءِ،
 وَقُبْلَةٌ بَيَاضٌ مَنَسِيَّةٌ...

عَيْنَاكَ إِنْجِيلٌ مِنَ الْوُرُودِ
 وَنَفْحَةٌ، مِنْ فَوْقُ، مَسْكِيَّةٌ

تَأْخُذُنِي إِعْلَامٌ بِإِلَا حُدُودٍ
تُشِيدُهُ رُوحٌ إِهْيَاءً...

عَيْنَاكَ فِرْدَوْسٌ مِنَ الصَّلَاةِ
أَطِيرُ فِي أَنْحَائِهِ طِفْلاً صَغِيرًا،
وَأَجْمَعُ الْأَلْوَانَ وَالْعَبِيرَ
لِمَذْبَحِ الْحَيَاةِ...

تَأْتِينَ مِنِّي مِنْ حُلْمٍ
يَشُدُّنِي إِلَى رُبُوعِهِ
فَأَسْكُنُ الْأَرْضَ السَّمَاوِيَّةَ،
وَحِينَمَا تُوقِظُنِي الْأَيَّامُ
أَدْرِي أَنَّنِي
أَحْبَبْتُ حَوْرِيَّةً...

بعيدة

تَظَلِّينَ عَنِّي بَعِيدَهُ
 لِأَنِّي وَحْدِي...
 وَقَلْبِي يَجُوعُ إِلَى لَمْسَةٍ
 قَدْ تُلَطَّفُ فَسَوْءَ هَذِي الْحَيَاةِ الْجَدِيدَةَ...
 وَلَا شَيْءَ فِيهَا سِوَاكَ
 يُعِيدُ إِلَيْهَا رَنِينَ الْحُبُورِ،
 وَيَتْرُكُ فِيهَا ضِيَاءً
 وَمَعْنَى وَنُورَ...
 وَلَكِنَّمَا فَسَوْءَ الْبُعْدِ تَقْتُلُنِي
 وَتُصَدِّعُ فِيَّ كِيَانِي،
 فَأَسْتَقْبِلُ الْحُزْنَ مَسْتَسَلِمًا،
 وَيَزْلُزِلُ رُوحِي وَقَلْبِي زَمَانِي...
 وَيَعْدُو الْبُكَاءُ صَدِيقِي وَعَائِلَتِي...

وَتَفْتُنِي قَسْوَةَ الْبُعْدِ،

لَكِنْ

أُقْبِلُ وَجَنَّةَ قَاتِلَتِي...

تَظَلِّينَ عَنِّي بَعِيدَهُ...

وَتَنْسِينَ أَنَّ الظَّلَامَ افْتِرَاقُ،

وَأَنْيَّ، بَعِيرِكَ،

كُلُّ حَيَاتِي احْتِرَاقُ...

وَتَنْسِينَ أَنَّكَ،

مِنْ غَيْرِ قَلْبِي،

فِرَاقٌ تَكْوَمُ فَوْقَ فِرَاقِ،

وَقَسْوَةُ حُزْنٍ شَدِيدَهُ...

فَمَاذَا تُسَمِّينَ هَذَا الْفِرَاقُ؟

وَلَا شَيْءَ فِيَّ وَفِيكَ

سِوَى الْحُبِّ،
 لَا شَيْءَ فِينَا
 سِوَى رِقَّةِ الْقَلْبِ،
 لَكِنَّا نَتَكَسَّرُ
 مِثْلَ الْبِنَاءِ الْمَصْدَعِ...
 مَاذَا تُسَمِّينَ هَذَا الْفِرَاقَ؟

أُحِبُّكَ...
 حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ أُقْتَلُ
 فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ
 وَأَعُودُ إِلَيْكَ.
 أُحِبُّكَ...
 حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ أَخْلَعُ قَلْبِي
 وَأَتْرِكُهُ فِي يَدَيْكَ.

أُحِبُّكَ...

مِثْلَ قَتِيلٍ يُقْبَلُ وَجَنَةَ قَاتِلِهِ،

وَيُكْرَرُ فِعْلَ الْمَحَبَّةِ

فِي كُلِّ آنٍ...

أُحِبُّكَ...

حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ أَتْرُكُ

فِي حُبِّكَ الصَّعْبِ

كُلَّ زَمَانِي...

وَيَعْسِلُنِي الْحُبُّ مِنْ وَجْعِي،

أَسْتَظِلُّ بِعَيْنَيْكَ...

حَتَّى أَنَامَ...

وَأُدْرِكُ أَيْتِي،

إِذَا احْتَجَبَ النُّورُ عَنِّي نَاطِرِي،

أَلْتَمَسْتُ حَنَانَكَ...

عَبَّرَ الظُّلَامَ...

وَأَحْلَمُ أَنِّي
أَذُوبُ بِقَلْبِكَ،
وَأُخْذِي أَذُوبُ...
وَأَقْبَلُ حَتَّى يَمُوتِي،
وَأَحْضِنُ هَذَا الْمَنَامَ...

٢٠١٧ / ٦ / ٢٥

إِذَا مَسَّكَ الْحُزْنُ

إِذَا مَسَّكَ الْحُزْنُ
 أَحْرَقَ قَلْبِي هَيْأَمُكَ فِيهِ،
 فَهَاكَ فُؤَادِي دِرْعًا
 لِيُجْرَحَ عَنْكَ،
 وَيَحْمَلَ كُلَّ جِرَاحِكَ
 بَيْنَ يَدَيْهِ...
 وَلَا شَيْءَ، حِينَ أَكُونُ،
 يَمْسُكَ أَنْتِ،
 لِأَنِّي أَقِيكَ بِقَلْبِي وَعُمْرِي
 جِرَاحَاتِ ذَاكَ السَّفِيهِ...

إِذَا مَسَّكَ الْحُزْنُ

مَسَّ كِيَانِي،
 فَلَا شَيْءَ، بَعْدُ، يَهُمُّ... سِوَاكَ،

وَلَا فَرَحٌ يَعْتَرِينِي... سِوَاكَ،
 وَلَا هَمَّهَاتٍ حُبُورٍ،
 وَلَا نَبْضَ قَلْبٍ... سِوَاكَ...
 فَمِنْ أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِي الشُّجُونُ
 وَقَلْبِي دِرْعُكَ؟
 كَيْفَ أَكُونُ
 وَأَسْمَحُ أَنْ تَتَسَلَّلَ فِيكَ
 وَأَنْتِ مَلَائِكِي؟

سَأَجْعَلُ عُمْرِي فِضَاءً مِنَ الزَّهْوِ حَوْلِكَ
 يَغْسِلُ قَلْبِكَ،
 يَمَلَأُ عُمْرَكَ بِالضُّوءِ
 مِنْ أُغْنِيَاتِ السَّمَاءِ.
 سَأَجْعَلُ رُوحِي رِدَاءً لِرُوحِكَ،

حَتَّى تُزَيِّنَهَا بِجُبُورِ الْغِنَاءِ...
 سَأَجْعَلُ شِعْرِي عُرْسًا لِقَلْبِكَ
 يَفْتَحُ فِيهِ حُدُودَ الصَّفَاءِ...
 وَأَجْعَلُ مِعْرَاجَ مَرَقَاكِ أَنْتِ كِيَانِي،
 وَأَرْفَعُ عُمْرِي بِأَقَّةِ وَرْدِ إِلَيْكَ،
 وَتَعْدُو حَيَاتِي، وَقَدْ حَكَمْتَهَا أَنْتِ،
 ثَوْبًا شَفِيفًا عَلَيْنِكَ...
 سَأَمْلَأُ عَيْنَيْكَ بِالْفَرَحِ الْمَتَقَافِرِ،
 أُفْعِمُ قَلْبَكَ بِالرَّهْوِ
 فَوْقَ حُدُودِ الْفَرْخِ
 لِتَعْدُو دُنْيَاكِ أَنْتِ
 فَضَاءَ الْوُجُودِ لِقَلْبِي
 يُسَوِّرُهَا مِنْ كِيَانِي وَعَيْنِيَّ
 فَوْسُ فَرْخٍ...

عندما تبسم عينك

عِنْدَمَا تَبْسِمُ عَيْنَاكَ
يُطِلُّ الصُّبْحُ مِنْ قَلْبِ السَّمَاءِ،
وَيَصِيرُ الْكَوْنُ أَرْجُوحةً وَعَدِ
وَفُؤَادِي قُبْلَةً وَرِدِيَّةً
يَحْمِلُهَا قَلْبُكَ فِي عُرْسِ الضِّيَاءِ...
عِنْدَمَا تَبْسِمُ عَيْنَاكَ
يَرِفُ الشَّعْرُ أَصْفَى
فِي كِيَانِي،
وَيُضِيءُ اللَّهُ أَحْلَامَ زَمَانِي،
وَيَسِيلُ النُّورُ كَالنَّعْمَةِ
فِي عُرْسِ الْبَهَاءِ...

عِنْدَمَا تَبْسِمُ عَيْنَاكَ
يَقْوُدُ الفَرْحُ المورِقُ أَحْلَامِي

إِلَى الفِرْدَوْسِ،

يُنْدَاخُ بِرُوحِي الأَلْقُ النَّازِلُ مِنْ فَوْقُ

عَلَى حَبْلِ العَبِيرِ،

وَأَرَى العَالَمَ فِي عَيْنَيْكَ

رِيَانًا، مُنِيرًا...

يَنْزِلُ اللهُ إِلَيْكَ وَإِلَيْنَا،

وَيُهَيِّلُ الفَرْحَ الثَّرَّ

عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا...

فَيَصِيرُ القَلْبُ شَفَافًا بِهِ...

وَيَطِيرُ...

لِأَنِّي أُحِبُّكَ

لِأَنِّي أُحِبُّكَ

صِرْتُ وُجُودِي،

وَتَرَسُّمُ عَيْنَاكَ فِي الْكَوْنِ

كُلَّ حُدُودِي...

لِأَنَّكَ صِرْتَ

ضِيَاءَ السَّمَاءِ بِقَلْبِي

وَفِيكَ اسْتَعَدْتُ رَجَائِي وَرَبِّي،

أَزْفُ إِلَيْكَ لِأَوْلَدَ بَكْرًا،

وَأَزْرَعُ فِي عُمْرِكَ الْيَوْمَ

كُلَّ وُرُودِي...

لِأَنِّي أُحِبُّكَ

أَرْسُمُ رُوحِي بِعَيْنَيْكَ أَصْفَى،
 وَأَخْرُجُ مِنِّي إِلَيْكَ
 لِأَتُرِكَ قَلْبِي بَيْنَ يَدَيْكَ
 بِدَايَةِ عَهْدٍ،
 وَعُمْرًا جَدِيدًا،
 وَعُرْسًا تَكُونِينَ فِيهِ
 أَتُبْسَمَةَ عُمْرٍ مَدِيدٍ...
 وَأَخْلَعُ شِعْرِي
 ثَوْبَ زَفَافٍ عَلَيْكَ...

لِأَنِّي أُحِبُّكَ
 أَصْبَحْتُ أَخْلَى،
 وَأَبْصَرْتُ نَوْرَ السَّمَاءِ بِقَلْبِي تَجَلَّى...
 وَفَتَّحْتَ فِي الرُّوحِ عَيْنَ الْإِلَهِ

لِيَنْبِضَ فِي كُلِّ عِرْقٍ
هُتَافُ الْحَيَاةِ...
نَزَلْتَ إِلَيَّ لِأُبْعَثَ حَيًّا،
وَصِرْتَ ضِيَاءِي عَلَى مُقَلَّتِيَا،
فَلَسْتُ أَرَى، بَعْدُ، نَوْرًا سِوَاهُ...

لَأَنِّي أُحِبُّكَ
صِرْتَ وَجُودِي،
أُزِفُ إِلَيْكَ لِأَوْلَدَ بِكْرًا
وَتَرَسُّمُ عَيْنَاكَ كُلَّ حُدُودِي...

٢٠١٧ / ٨ / ١

ديزيره سقال

نشيد الفردوس



٢٠١٨

- ١ -

عَبَّرْتُ عَلَيَّ غَمَامَةً
فَخَرَجْتُ مِنْ ذَاتِي
إِلَى ذَاتِي،
وَأَرْهَقَنِي الْمَسِيرُ...
وَرَأَيْتُ فِيكَ وِلَادَتِي
فَتَصَدَّعَتْ ذَاتِي الْقَدِيمَةَ
حِينَ آخَتْ نَوْرَ عَيْنَيْكَ.
أَنْكَسَرْتُ...
وَعُدْتُ مُجْتَمِعًا...
وَلَجَّ بِي الْمَصِيرُ
لَأَرَى أَنْكِسَارِي بَاتَ بَعَثًا

مِنْ رَمَادٍ،
 وَأَنْبَثَاقًا مُشْرِقًا
 تَمْضِي بِهِ رُوحِي إِلَى رُوحِي...
 لِتَعْدُوَ مَرَّةً أُخْرَى
 ضِيَاءً حَتَّى أَقْدَامِي...
 وَمَا زَالَتْ تَسِيرُ...
 وَرَأَيْتُ ذَاتَكَ غَلَّقْتَ ذَاتِي
 فَصَارَتْ وَاحِدًا أَحَدًا،
 وَطَارَتْ كَالْفَرَّاشَةِ
 نَحْوَ نَارٍ لَيْسَ تُحْرِقُهَا
 وَلَكِنْ يَحْتَوِي طَيْرَانَهَا فِيهَا عَبِيرٌ...
 كَيْفَ انْبَثَقْتَ إِلَيَّ مِنْ عُمُقِ الظَّلَامِ —
 خَرَجْتَ مِنْ جِلْدِي إِلَيَّ،
 وَكُنْتُ مُنْكَسِرًا،
 فَلَمَلَمْتُ أَنْكَسَارِي،

وَاحْتَضَنْتِ بِنُورِ عَيْنَيْكَ
أَحْتِرَاقَ الرُّوحِ فِي أَحْزَانِهَا،
فَتَفَتَّحَ النُّورُ الْوَثِيرُ،
وَأَنْدَاخَ مِنْكَ غِلَاةٌ ضَوْئِيَّةٌ
أَصْفَى مِنَ الصَّلَوَاتِ تَحْمِلُنِي إِلَيْكَ...
فَلَمْ يَعُدْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
غَيْرُ عَيْنِ اللَّهِ
تَنْزِلُ مِنْ أَعَالِي الْمُنْتَهَى
لِتُبَارِكَ الدَّائِمِينَ مُشْرِقَةً،
فَيَخْرُجَ مِنْهُمَا أَلَقٌ أَحْيَرُ...

عَبَّرْتُ عَلَيَّ غَمَامَةً
فَطَوَيْتُ آلَامِي،
وَفَتَّحْتُ الزَّمَانَ عَلَى بِدَائِتِهِ...
وَكَانَ الْغَائِبُ الْمَمْلُوءُ بِالذِّكْرِ
يُعيدُ بِنَاءَ ذَاتِي.
كُنْتُ أَحْضِنُهُ بِقَلْبِي
كَيْ يَمُرَّ بِكُلِّ نَبْضٍ فِيَّ.
كَانَتْ رَوْحُكَ الْبَيْضَاءُ
تَحْضِنُهُ بِعَيْنَيْهَا،
وَتَنْهَضُ مِنْهُ نُحْوِي
كَيْ يَظَلَّ وَثَاقَنَا الْأَفْوَى
بِوَجْهِ الْخَارِجِ الْمَسْكُوبِ

فِي عَيْنِ الظَّلامِ .
 النُّورُ يَمَلَأُ قَلْبَكَ المَطْلَبِي بِالصَّلَوَاتِ ،
 يَمَسِّحُ عَالَمِي
 فَأَطِيرُ فِي حُلْمٍ إِلَيْهِ
 وَأَتْرُكُ الكَوْنَ المَلِيءَ بِخَوْفِهِ ،
 وَأَظْلُ أَعْرَقُ
 فِي مَنَامِي —

هَذَا هُوَ البَابُ الجَدِيدُ:

سَتَعْبُرِينَ إِلَيَّ مِنْهُ ،
 وَتَتْرَكِينَ عَلَيَّ سُهولَ تَأَلُّفِي
 عَيْنِيكَ
 أَسْبِحُ فِي بَرِيقِهِمَا ،
 وَيَحْرَفُنِي ،
 وَيَرْحَلُ فِي عِظَامِي ...
 هَذَا هُوَ البَابُ الجَدِيدُ:

نَمُرُّ مِنْهُ إِلَى اتِّحَادِ كِيَانِنَا،
وَنَصِيرُ أَصْفَى مِنْ قَرَارِ النُّورِ،
نَبْنِي كَوْنَنَا أَلَقًا،
وَنَبْقَى فِي السَّامِ...
فِي السَّامِ...

- ٢ -

خَوَاتِ الْعُرُوقِ مِنَ الدَّمَاءِ
فَكُنْتِ أَنْتِ دَمِي ...
وَتَسَلَّلْتَ عَيْنَاكَ فِي رُوحي
فَشَعَّتْ مِثْلَ رُوحي،
وَأَزْتَقَّتْ فِي نورها المتكؤم ...
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ
أَنَّ وَجْهَكَ سَوْفَ يَحْمِلُنِي
إِلَى عُمُقِ الضِّيَاءِ،
وَأَنَّ رُوحي سَوْفَ تُكْمِلُنِي،
وَتَخْرُجُ فِي حُرُوفِ قِصَائِدِي
أَلْقَا يُعْنِيهِ فَمِي ...

مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ رَوْحَكَ

سَمَّتُ هَذَا الْكَوْنَ

عَلاَهَا الْإِلَهِ

لِيَرْفَعَ الْأَنْوَارَ وَالنَّجْمَاتِ،

وَالدُّنْيَا يُعَلِّقُهَا بِهَا

لِتَرَى إِلَى الْأَشْيَاءِ مِنْ فَوْقِ،

وَأَنِّي،

حِينَ دُبَّتِ عَلَى كِيَانِي،

فَاضَتْ مِيَاهُ الْعِشْقِ عَنكَ

لِيَبْدَأَ التَّارِيخُ مِنْ زَمَنِ جَدِيدِ

أَوْلَدَ السَّاعَاتِ بِكَرًّا فِي زَمَانِي ...

وَتَوَالَدَتْ رَوْحِي بِرَوْحِكَ

حِينَ ضَمَّ الْحُبُّ قَلْبَكَ

فَأَنْكَشَفَتْ لِكَائِنِي

ضَوْءًا أَرَقَّ مِنَ الْحَنَانِ ...

وَأَهْتَرَّ كُلُّ كِيَانِكِ الْمَعْجُونِ بِالْأَلْقِ،
أُنْبَثَقَتْ إِلَيَّ مِنْ عَبَقِ الدُّهُولِ ...
فَعَرَفْتُ عِنْدَئِذٍ
بِأَنَّكَ لَسْتِ مِنْ غَيْرِي،
وَأَنَّكَ مِنْ دَمِي ...
وَعَرَفْتُ، حِينَ سَكَنْتِ فِي قَلْبِي،
حُرُوفَ الشُّعْرِ،
وَأَنَّكَ سَرَّ الْأُفُولِ ...
وَعَرَفْتُ سِحْرَ النُّطْقِ فِي شَفَتِي،
وَأَيُّقَنَ خَافِقِي مَاذَا يَقُولُ ...

مِنْ أَيْنَ أَسْلُكُ نَحْوَ ذَاتِي، بَعْدُ،
وَالْأَحْلَامُ فِي عَيْنَيْكَ
تَحْمِلُنِي إِلَى الْأَلْقِ الْبَعِيدِ،
وَكَيْفَ لَا أَبْقَى
بَعِيدًا عَن شُجُونِي،
يُتُّهَا الَّتِي عُنْوَانُ قَلْبِكَ
مِنْ أَرِيحِ اللَّهِ؟
كَيْفَ أَعُودُ، بَعْدَ الْآنَ،
جِسْمًا بَائِدًا
وِظْلَالُ عِشْقِكَ أَخْرَجْتِكِ إِلَيَّ،
وَأَمْتَدَّ الْبِهَاءُ عَلَى عُيُونِي؟
مِنْ أَيْنَ أَسْلُكُ نَحْوَ ذَاتِي

وَالطَّرِيقُ إِلَيَّ أَنْتِ؟
 تَشَابَكْتَ دُنْيَاكِ فِي دُنْيَايَ،
 وَأَنْبَتَقَ الصَّفَاءُ،
 وَتَحَوَّلَ الْحُزْنَ الْمَقِيمُ
 وَوِلَادَةَ لِحُبُورِنَا،
 وَتَحَرَّكَتْ صَلَوَاتُنَا
 لِتَصِيرَ مِحْبَرَةً لِرُوحَيْنَا
 يُعْطِرُهَا الْبَهَاءُ...
 وَبِنَا يَعُودُ الْكَوْنُ كَوْنًا،
 وَالْقَصَائِدُ قُبْلَةً زَرْقَاءَ
 تَرَحَّلُ فِي مَطَاوِي عِشْقِنَا،
 وَالْحُلْمُ بَابًا لِلْخُلُودِ...
 فَكُلُّ زَاوِيَةٍ سَمَاءُ...
 مِنْ أَيْنَ أَسْلُكُ نَحْوَ ذَاتِي
 وَالطَّرِيقُ إِلَيَّ قَلْبُكَ

وَهُوَ مُنْفَتِحٌ عَلَى حُلْمٍ جَدِيدٍ...؟
لَيْسَ فِي جِلْدِي سِوَاكَ،
وَلَيْسَ فِيكَ
سِوَى رِذَاذِ النُّورِ
يُمَطِّرُهُ الرَّجَاءُ.
هَذِي هِيَ الدَّرْبُ الَّتِي آخَرْنَا،
فَكُلُّ النَّاطِرِينَ عِيُونُهُمْ عَجَزُ،
وَكُلُّ الْعَاجِزِينَ سِهَامُهُمْ عَبَثٌ،
وَكُلُّ الْآخِرِينَ...
صَدَّى هَبَاءً.

- ٣ -

آتِيكِ مِنْ وَجْدَانِكِ الْمَفْتُوحِ لِلْأَنْوَارِ .
 تَكْتَشِفِينَ نَفْسَكَ بِي ...
 وَيَحْمِلُكَ الذُّهُولُ إِلَيْكِ :
 بِي تَتَلَمَّسِينَ مَعَالِمَ الْعِشْقِ
 الَّذِي لَمْ تَعْرِفِيهِ ،
 وَتَقْطُفِينَ الزَّهْوَ مِنْ قَلْبِي —
 سَأَجْعَلُ مِنْهُ مَأْوَاكَ ...
 وَسَأَمْسَحُ الْكِسْرَ الَّتِي رَكَمَ الْأَسَى ،
 وَأُمَهِّدُ الْأَبْوَابَ مُشْرَعَةً
 فَلَيْسَ يَمُرُّ إِلَّاكَ ...
 وَسَأَفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى الْأَضْوَاءِ

تُمَطِّرُهَا عَلَى الْأَحْيَاءِ عَيْنَاكَ...
 سَأَطَّلُ وَحْدِي فِي مَدَارِ الْعِشْقِ
 أَخْرُجُ مِنْ كِيَانِكَ
 وَهُوَ يَخْلُقُنِي وَأَخْلُقُهُ.
 وَأَنْتِ خَرَجْتِ مِنْ عُمْرِي
 فَتَاهُ

لَيْسَ يُدْهِشُهَا سِوَاهَا،
 تَتَحَرَّكُ الدُّنْيَا بِعَيْنَيْهَا،
 وَأَعْرَقُ فِي سَنَاهَا...
 وَأَخْضِنُهَا لِتَقْطِفُ مِنْ فُؤَادِي
 وَرَدَّةَ الْأَحْلَامِ،
 تَنْكَسِرُ الْحُدُودُ عَلَى مَدَاهَا.
 آتِيكِ مِنْ وَجْدَانِكَ الْمَفْتُوحِ لِلْأَنْوَارِ:
 هَذَا عَالَمِي،
 فَخُذِيهِ وَأَحْتَرِفِي الدُّهُولَ.

أَلَوْ قُتُّ يُعْمِضُ فَيْكَ عَيْنَيْهِ،
وَيَحْمِلُنَا إِلَى أَفُقٍ جَدِيدٍ
كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ
مُنْخَطِفٌ إِلَيْنَا،
كُلُّ نَوْرٍ فِيهِ يُلْهِمُنِي
فَأَكْتُبُ... ثُمَّ أَنْسَى مَا أَقُولُ...
عَبَقُ كِيَانَانَا،
صَلَاةٌ أَرَخَتْ لِبَدَايَةِ الدُّنْيَا،
وَقَدْ صَارَتْ بِنَا
فِي النُّورِ فِرْدَوْسًا
يُشْرَعُ بَابُهُ فَرَحٌ بَتَوْلٍ...

أَلْقُ يُحِيطُ بِنَا،
وَأَنْتِ يَشِيدُ قَلْبُكَ
مَا تَصَدَّعَ فِي فُؤَادِي.
أَلْقُ يُحِيطُ بِنَا،
وَعَيْنَاكَ السَّمَاءُ،
وَقَلْبُكَ المَغْمُوسُ بِالْأَضْوَاءِ
ذَوِّبَ فِي مِدَادِي
مَا يَجْعَلُ الكَلِمَاتِ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ:
أَنْتَاكِ أَنْتِ مَحَجَّتِي.
أَنْتَاكِ خَلَقُ مِنْ عَدَمٍ.
أَنْتَاكِ أُخْرِجُهَا إِلَيَّ
فَتَمَسَّحُ الظُّلْمَاتِ فِي قَلْبِي

وَتَجْعَلُهَا نَهَارًا مُشْرِقًا.
 وَخُدِي بِمَعْبَدِ قَلْبِكَ الْمَفْتُوحِ
 أَكْشِفُهُ لِفِرْدَوْسِ التَّجَلِّي.
 هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ مِنَ الدُّهُولِ
 فَلَيْسَ يَعْقُبُهُ تَخَلِّي.
 هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ...
 سَنَصْنَعُ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا،
 وَنَمْسَحُهَا بِأَنْوَارِ التَّمَلِّي.
 وَسَنَكْسِرُ الزَّمْنَ الْقَدِيمَ لِكَيْ يَقُومَ زَمَانُنَا:
 لَا وَقْتَ فِيهِ، وَلَا ثَوَابِي أَوْ حُدُودَ...
 وَلَا زَوَالَ أَوْ بَقَاءَ.
 هَذِي هِيَ الدَّرْبُ الَّتِي اخْتَرْنَا،
 فَكُلُّ الْعَابِثِينَ بِعِشْقِنَا وَهُمْ،
 وَكُلُّ النَّاطِرِينَ سِهَامُهُمْ عَبَثٌ،
 وَكُلُّ الْآخِرِينَ صَدَى هَبَاءُ...

- ٤ -

آتِيكَ مِنْ وَجَعِي
لِأَسْكُنَ وَمُضَى عَيْنَيْكَ.
أَنْتَظَرْتُ وِلَادَتِي
مِنْ خَفَقَةِ الْحُلْمِ الْمَجْنَحِ...
ثُمَّ كُنْتُ الْحُلْمَ أَنْتِ...
فَأَزْهَرْتُ دُنْيَا،
وَعَاوَدَنِي الضِّيَاءُ مُرْفَرِفًا
لِأَطِيرَ فِي فِرْدَوْسِكَ الزَّاهِي
وَقَدْ فُتِحَتْ مَدَاخِلُهُ لِقَلْبِي.
كُنْتُ أَنْتِ!
فَكَانَ أَنْ عَادَتْ إِلَيَّ الرُّوحُ

بَعْدَ رَدَى
لِأَخْرَجَ مِنْكَ بِكْرًا،
وَأَسْتَفْقَتِ عَلَيَّ مِنْ نَوْمٍ،
وَقَدْ طَالَ الْمَنَامُ.
هَذَا هُوَ الْفَجْرُ الْجَدِيدُ
يَزِينُ رَوْحَيْنَا،
وَيَحْمِلُهُ السَّلَامُ.
هَذَا هُوَ الْفَجْرُ الْجَدِيدُ...
فَلَيْسَ تُشْرِقُ
مِنْ سِوَانَا شَمْسُهُ
وَتُضِيءُ فِيكَ قَرَارِكَ الْأَقْصَى،
وَيَمْلَأُنَا الْهَيْامُ...
آتِيكَ مِنْ وَجْعِي...
يَطِيبُ الْجُرْحُ
حِينَ تَمْسُهُ عَيْنَاكَ.

يَسْكُنُنِي الْحُبُّورُ
فَأَسْتَفِيقُ عَلَى مَعَايِرِ عَشِقِنَا.
آتِيكَ مِنْ حَفَقَاتِ قَلْبِكَ...
لَمْ يَعُدْ فِيْنَا سِوَانَا!
كُلُّ الْفَضَاءِ بِجَالِنَا...
وَالنُّورُ يَمْرُحُ فِي رُبَانَا.
آتِيكَ مِنْ جُرْحِي
لِتَلْتَمِمْ الْجِرَاحُ:
يَدَاكَ بِلَسْمِي الرَّقِيقُ
وَقَلْبِي التَّرْيَاقُ
وَالْأَفْرَاحُ تَوْلَدُ مِنْ أَسَانَا...
لَا شَيْءَ فِيْنَا غَيْرِنَا.
لَا شَيْءَ أَقْوَى مِنْ مُنَانَا،
وَالعِشْقُ إِكْلِيلٌ يُزَيِّنُ مَا تَرَاهُ العَيْنُ...
لَا تَارِيخَ،

فَالتَّارِيحُ يَكْتُبُهُ ذُهُولُ الشَّعْرِ
فِي نَبْضَاتِ قَلْبِنَا
لِكَيْ نَأْوِيَ إِلَى التَّغْيِيرِ،
نَرْقُصُ فِي تَأَرْجِحِهِ،
وَبَجْهَلٍ مَا عَرَانَا.
لَا شَيْءَ فِينَا غَيْرِنَا.
لَا شَيْءَ أَقْوَى مِنْ مُنَانَا...

ما زلتُ أَنْبِضُ بِالحَيَاةِ،
فَعُدُّ، يُهَا المَوْتُ اللَّيْمُ،
وَرُدِّ كَفِّكَ عَن كِيَانِي.
فَوَضَّتْ بُرْجًا مِنْ بُرُوجِي
فَأَسْتَفَقْتُ عَلَى الجِرَاحِ
وَأَظْلَمْتُ فِي عَيْنِي الدُّنْيَا،
وَكَسَّرَنِي زَمَانِي،
وَسَلَبَتْنِي نِصْفِي،
وَأَطْفَأَتِ الحَرَارَةَ
فَأَسْتَفَقْتُ عَلَى البُرُودَةِ فِي مَكَانِي...
ما زلتُ أَقْوَى مِنْكَ...
يا مَوْتُ، أَنْطَفِئِي!

وَأَكْبَ عَلَى صَهَوَاتِ خَيْلِكَ،
وَأَنْكَفَى...
مُدَّ الشَّرَاكَ

فَلَيْسَ تَأْسِرُنِي شِرَاكُكَ!
وَأَصْطَحِبُ فِي قَهْمَهَا تِكَ...
لَا حُضُورَ سِوَايَ

فِي هَذَا الْمَدَى الْمَمْلُوءِ بِالْأَهَاتِ،
لَا شَيْءٌ سِوَى رُوحِي
يُصَقِّئُهَا التَّجَلِّي.

وَأَنَا الْحُضُورُ.
أَنَا الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ
فَلَيْسَ يَكْسِرُنِي التَّخَلِّي.
وَأَنَا الْبِدَايَةُ وَالنَّهَائَةُ.

عَادَ نِصْفِي خَارِجًا
مِنْ عُمُقِ رُوحِي.

عُدْتُ مُلْتَمِمًا أُصَلِّي...

ذاتي الَّتِي غَابَتْ

تَعُودُ إِلَيَّ فِي أُخْرَى،

وَتَنْفَجِرُ الْقَصِيدَةُ فِي مَطَاوِي الْجُرْحِ

أَقْوَى مِنْ صُرَاخِكَ، أَيُّهَا الْعَاتِي...

يُنِيرُ الشُّعْرُ أَحْلَامِي

وَيَقْرَأُ آيَةَ الْمَلَكُوتِ

فَوْقَ مَكَانِكَ الْخَاوِي،

يُهَا الْمَوْتُ الْعَقِيمُ...

أنا هنا:

ذَاتَيْنِ أَقْوَى مِنْ شِرَاكِكَ،

نَابِضًا بِالشُّعْرِ

أَحْضِنُهُ، وَيَرْفَعُهُ نِدَائِي.

فَأَرْكَبُ عَلَى صَهَوَاتِ خَيْلِكَ،

أَيُّهَا الْمَوْتُ الْعَقِيمُ،

وَعُدُّ إِلَى مَلَكُوتِكَ الدَّائِي،
 فَلَسْتَ تَقُومُ مِنْ ظُلُمَاتِ وَحْدَتِكَ الرَّهِيْبَةِ
 فِي مَعَارِيجِ الفَنَاءِ!
 أَنَا هَهُنَا:
 ذَاتِي فِي ذَاتِ،
 وَحَرْفَ قَصِيْدَةٍ فَوْقَ الزَّمَانِ
 يُؤَبِّدُ الدُّنْيَا،
 وَيَخْلُقُ، كُلَّ آنٍ،
 فَرَحَةً كُبْرَى،
 وَيَفْتَحُ كُلَّ أَبْوَابِ السَّمَاءِ.
 أَنَا هَهُنَا،
 فَأَكْبُ عَلَى صَهَوَاتِ خَيْلِكَ،
 وَأَنْسَحِبُ...
 مَا زِلْتُ أَعْمَسُ بِالحَيَاةِ قَصِيْدَتِي،
 وَأَشْحُ رَأْسَكَ بِالقَصَائِدِ وَالبَهَاءِ.

سَيَمُدُّ رُوحِي الشُّعْرُ فَوْقَ الْوَقْتِ
كَيْ تَسْتَسْلِمَ الدُّنْيَا كَأَنْثَى فِي سَنَائِي...
وَأَنَا الْقَضَاءُ...
أَنَا قَضَائِي!

- ٥ -

عَيْنَاكِ أَفْرَأُ فِي بَرِيْقِهِمَا
 وَجِيْفَ دَمِي،
 وَأَرْحَلُ فِيهِمَا حَتَّى أَغِيْبُ...
 عَيْنَاكِ مِرْوَحَةُ الضِّيَاءِ
 أَهْيِمُ فِي فِرْدَوْسِهِ
 فَيَطِيرُ بِي زَهْوُ غَرِيْبٍ...
 عَيْنَاكِ تَخْتَرِقَانِ رُوْحِي
 كَيْ تُوشِّحَنِي الْحَيَاءُ بِنَفْحِهَا...
 وَالْكَوْنُ، كُلُّ الْكَوْنِ،
 فِي عَيْنَيْكِ وَمُضْنَةُ ذَاهِلٍ.
 عَيْنَاكِ أَنْتِ صِلَاتِي الْكُبْرَى

أُعَانِقُ بَيْنَ أَحْرَفِهَا الْحَيَاةَ،
 وَأَكْسِرُ الْمَوْتَ الرَّهِيْبَ...
 وَأَنَا صَهِيْلُ الْعِشْقِ
 فِي أَعْمَاقِكِ الْعَطْشَى،
 يُفَجِّرُ مَاءَهَا دِفْقًا،
 وَيَرْوِي حُلْمَكَ الظَّمَانَ
 بِالرَّهْوِ الْعَجِيْبِ...
 وَأَنَا أَنْكِشَافُ فَتَاتِكِ الْمَحْجُوْبَةِ.
 أَنْكِشِفِي لِقَلْبِي،
 وَأَتْرِكِي فِي الْخَارِجِ الْقَلْقَ
 الَّذِي حَجَبَ السَّعَادَةَ بِالْأَسَى،
 وَتَدَفَّقِي شِعْرًا عَلَى أَوْرَاقِ وَحْيِي
 فَالصَّلَاةُ فَصِيْدَةٌ سِحْرِيَّةٌ
 فِي ضَوْءِ عَيْنَيْكَ.
 أَنْشُرِي فِي سَهْلِ قَلْبِي

قَمَحَ نوركِ،
 وَأَرْقُصِي بَيْنَ الحُرُوفِ،
 فَكُلُّ حَرْفٍ سَكْرَةٌ عَلَوِيَّةٌ
 وَالشَّعْرُ يَخْشَعُ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ رُؤَاكِ.
 يَتُّهَا الَّتِي جَمَعَتْ
 عَبِيرَ الزَّهْرِ فِي بَسْمَاتِهَا،
 فَتَلَوْنَ الوَحْيَ المَجْنَحُ
 إِذْ رَأَى...
 لَمِّي بَرِيقِي وَاحْضُنِيهِ فِي سَنَاكِ...
 سَيَكُونُ قَلْبِي خَاتَمًا،
 وَيَكُونُ شِعْرِي رَايَةً
 لِذُهُولِكَ المَفْتُوحِ
 يَغْرُسُهَا البِهَاءُ عَلَى دُرَاكِ...

عَيْنَاكَ سِرُّ الْخَلْقِ،
 أَرْحَلُ فِيهِمَا،
 وَأَطِيرُ فِي سُحْبِ الْبَرِيقِ،
 وَيَعُودُنِي نَعَمَ رَقِيقُ
 خَارِجٌ مِنْ جَوْفَةِ الْفِرْدَوْسِ،
 يَا سِرُّنِي،
 وَيَفْتَحُ لِي طَرِيقِي.
 وَأَنَا أُنْدِفَعُ الْخَلْقِ مِنْكَ،
 أُصَيِّرُ الْأَحْلَامَ عُنُقُودًا مِنَ النُّجُمَاتِ،
 أَجْبِلُ خَفَقَ قَلْبِكَ بِالضِّيَاءِ،
 وَأُحْرِقُ الظُّلْمَاتِ حَوْلَكَ،
 ثُمَّ أَرْقُصُ فِي الْحَرِيقِ.

هَذَا هُوَ الزَّمَنُ الجَدِيدُ
 فَلَيْسَ يَحْجُبُنَا غِيَابٌ:
 كُلُّ ثَانِيَةٍ يُعَيِّبُهَا لِقَاءُ
 لِنَظَلَّ نَجْمُخُ خَارِجِ الزَّمَنِ العَتِيقِ.
 كُلُّ انْطِلَاقٍ
 فِي مَسَارِينَا بَهَاءً.

هَذَا هُوَ الزَّمَنُ الجَدِيدُ...
 فَكُلُّ شَيْءٍ فِي مَرَامِينَا ضِيَاءٌ...
 أَلْغِبْطَةُ البَيْضَاءُ تَرَسُّمٌ فِي مَدَارِ دُهُولِنَا
 أُفُقًا جَدِيدًا
 كُلُّ مَا فِيهِ انْتِلَاقٌ
 لَا يُحَاصِرُهُ زَمَانٌ
 أَوْ مَكَانٌ،
 أَوْ فَضَاءٌ...
 هَذَا هُوَ الزَّمَنُ الجَدِيدُ...

فَلَيْسَ لِلْحُزْنِ الْقَدِيمِ مَحَلُّهُ فِيهِ،

وَلَيْسَ لِغَيْرِ حُلْمَيْنَا

حُضُورٌ أَوْ بَقَاءٌ...

- ٦ -

مَا زِلْتُ أَبْحَثُ عَنْكَ فِي ذَاتِي
وَأَنْتِ تُحَدِّثِينَ الشَّعْرَ

فِي صَمْتٍ،

وَتَحْمِلُكَ الْحُرُوفُ إِلَى كِيَانِي

كَيْ يُصَاعَ مُجَدِّدًا،

وَتَصَوِّغُ رُوحِي مِنْكَ مَنَزِلَهَا،

وَتَحْتَرِقُ الْمَكَانَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ

هَجَرَتْ مِسَاحَتَهُ الْخُدُودُ.

مَا عُدْتُ أَعْرِفُ

مَا الْقَرِيبُ وَمَا الْبَعِيدُ...

مَا عَادَ فِي ذَاتِي سِوَاكَ،

وَأَنْتِ فِي رِذَائِ نَوْرِ أَبْيَضٍ

لَا تَهْدَيْنِ...

يَصِيرُ وَجْهَكَ وَامِضًا كَالشَّعْرِ

حِينَ يَخْطُ الْوَحْيُ الْمَدِيدُ...

مَا عُدْتُ أَعْرِفُ

مَا الْقَرِيبُ وَمَا الْبَعِيدُ...

وَأَنَا التَّمَلِّي مِنْ وُجُودِي

حِينَ يَسْكُنُهُ الشُّرُودُ.

أَنْتِ الشَّرَاعُ تَمُدُّهُ رُوحِي

لِتُبْحَرَ فِي الدُّهُولِ،

وَوَجْهَكَ الْيَمِّ

الَّذِي ضَاعَتْ بِهِ سُنْفِي،

وَفِيكَ مَنَارَةُ الرُّوحِ

الَّتِي جَاءَتْ إِلَيْهَا الذَّاتُ،

فَاعْتَصَمَتْ،

وَأَيْنَعَ فِي حَرَارَةِ دِفْئِهَا
أَلْقَلْبُ الشَّرِيدُ...

أَنْتِ الرِّسَالَةُ حِينَ تَكْتُبِينِي،
وَتَسْكُنُ فِي دَمِي،

وَأَنَا الْعَنَاوِينُ الْكَبِيرَةُ
وَالْبَرِيدُ...

أَنْتِ أَنْتِظَامُ الْكَوْنِ
حِينَ تُضَعِّضُ الذِّكْرَى زَوَايَاهُ؛
وَأَنْتِ فَصِيدَتِي...

فَخُذِي حُرُوفِي،
وَأَنْقَعِي قَلْبِي بِمَاءِ الْعِشْقِ
كَيْ يَنْسَى الْمَرَارَةَ،
وَأَعْجُنِيهِ بِمَاءِ وَرْدِكَ،

وَأَرْحَلِي فِي نَبْضِ شَرِيَانِي
إِلَى أَقْصَى دَمِي،

وَأُرْوِي وَرَيْدِي بِابْتِسَامِكِ

يَزُهُ فِي فَرَحِي الْوَرِيدُ.

سَنَكُونُ حَقًّا مَا نُرِيدُ!

عَبَثًا يَزُورُ الْمَوْتَ
أَضْرَحَةَ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِحَيَاتِهِمْ.
عَبَثًا يَزُورُ الْمَوْتَ ذَاتِي،
يَسْتَسِيْعُ جُلُوسَهُ قُرْبِي
يُرَاقِبُنِي وَقَدْ خَسِرْتُ حَيَاتِي
نِصْفَ ذَاتِي...
عَبَثًا يُطَارِدُ
مَا تَبَقِيَ مِنْ حَيَاتِي...
سَأْظَلُّ فِي شِعْرِي
وَمَا جَدَّدْتُ مِئِّي
خَارِجَ الْمَرْمَى،
وَتَبَقِيَ وَحْدَكَ الْمَنْفِيَّ فِي الْمَنْفَى،

يُهَا الْمَوْتُ الْعَقِيمُ،
تَظَلُّ وَحَدَاكَ حَالِيَا
مِنْ كُلِّ لَوْنٍ،
لَا تُرَاوِدُكَ الْأَحِبَّةُ،
أَوْ تُحِبُّ،
وَلَا تُحْسُ بِرَوْعَةِ الْكَلِمَاتِ
حِينَ تَصِيرُ أُغْنِيَةً،
وَتَبْقَى فِي حُطَامِ الْوَقْتِ
مُنْسَلًا كَأَفْعَى
بَيْنَ مَنْ مَاتُوا...
سَتَبْقَى خَلْفَ وَجْهِهِ،
دُونَ أَطْفَالٍ وَعَشِقٍ،
تَسْتِظِلُّ جَمَاعِمَ الْمَوْتَى
وَحِيدًا فِي جَحِيمِكَ،
لَا يُنَجِّيكَ التَّسَلُّطُ...

كَلَّمَا أَمْتَدَّتْ إِلَيَّ يَدَاكَ
 صَدَّهُمَا بَرِيقُ الْعِشْقِ فِي قَلْبِي
 لِيَصْنَعَ وَجْهَكَ الْحُبُّ الْمَدِيدُ.
 سَتَظَلُّ تَرُكُّضُ خَلْفَ خَطْوِي...
 كَلَّمَا أَمْتَدَّتْ يَدَاكَ إِلَيَّ
 رَدَّهَا الْقَصِيدَةُ،
 وَأَنْكَسَرَتْ.
 أَنَا الشَّهَادَةُ وَالْمَعَارِكُ وَالشَّهِيدُ...
 وَأَنَا انْتِظَامُ الْكَوْنِ
 حِينَ أَعُودُ مِنْ فِرْدَوْسِ عَيْنَيْهَا،
 أَصَوِّغُ فَضَائِي الْمَمْتَدَّةَ مِنْ قَلْبِي
 لِنَصْنَعَ مَا نُرِيدُ...

- ٧ -

تَأْتِينَ مِنْ قَلْبِي
 وَيَحْمِلُكَ الضُّحَىٰ أَنشُودَةً سِحْرِيَّةً
 تَعُوِي بِهَا الدُّنْيَا
 إِذَا مَسَّتْ تَوَاتُرَهَا،
 وَقَلْبُكَ يَمْسَحُ الْأَمْدَاءَ
 بِالنُّورِ الرَّقِيقِ.
 كُنْتُ أَنْتَظَرْتُكَ
 قَبْلَ أَنْ تَأْتِي،
 وَمَآ أَعْرِفُ!
 رَأَيْتُكَ فِي ضَبَابِ الْحُزْنِ
 تَمْسَحُ كَفُّكَ الظُّلْمَاءَ

عَنْ زَمَنِي،
 وَتَمَسَّحْنِي بِشَوْقٍ
 لَسْتُ أَعْرِفُ مَا هُوَ.
 أَخْتَرَقْتُ كِيَانِي شَمْسُ عُمُرِكَ،
 فَأَلْتَقْتُ إِلَى أَشْعَتِهَا،
 وَعَرَّشْتِ الْمَنَى فِي الرَّوْحِ،
 فَأَسْتَعْرِفُ فِي حُلْمٍ رَفِيقٍ...
 مَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنَّ أَيَّامِي تَعُودُ إِلَيَّ
 مِنْ نَبْضَاتِ قَلْبِكَ،
 أَوْ يَفُوحُ الضَّوُّ مِنْكَ
 عَلَى طَرِيقِي.
 مَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنَّ فِيكَ شَرَارَةً مِنِّي،
 وَأَنِّي

قَدْ أَكُونُ مَعَابِرًا لِحُطَاكَ
 حِينَ تَلَمَّسَتْ
 ظِلَّ الطَّرِيقِ لِكَيْ يَعُودَ النَّبْضُ
 مِنْ سَفَرٍ إِلَيْكَ... وَقَدْ غَفَوْتُ...
 فَأَيَّقِظَ الْعِشْقُ أَنْبَهَارَكَ،
 وَأَنْكَشِفْتَ عَلَى الْبَرِيقِ.
 مَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنِّي فَجْرٌ أَنْتَسَامَتِكَ
 الَّتِي تُحْيِي الْمَوَاتَ،
 وَأَنَّ قَلْبِي نَابِضٌ
 فِي نَبْضِ قَلْبِكَ،
 وَالنُّجُومَ تَمُدُّ أَيْدِيهَا
 لِتَنْهَلَ مِنْ سَنَا عَيْنَيْكَ.
 هَذَا وَعَدْنَا،
 وَقَرَارُنَا أَنَّا أَلْتَأَمْنَا فَأَنْعَجْنَا بِالضِّيَاءِ،

وَصَارَ مَا فِينَا قَضَاءً
يَخْلُقُ الْأَكْوَانَ فِي لَوْنِ الشُّرُوقِ.
نَحْنُ الْقَضَاءُ،
وَنَحْنُ قِمَّةُ وَجَدِنَا،
وَالْآخَرُونَ يَبَاسُ أَوْرَاقِ
تَهَاوَتْ خَلْفَ خُطُوتِنَا
عَلَى الزَّمَنِ الْعَتِيقِ...

وَأَنَا أُرَاجِعُ مَا أَنْقَضَى ...
 فَأَرَى أَنْكِشَافِي فَجَاءَهُ،
 وَأَرَاكَ خَارِجَةً مِنْ الصَّلَوَاتِ
 تَنْحَدِرِينَ نَحْوِي
 فِي حِبَالٍ مَدَّهَا فِيَّ الْأَثِيرُ.
 كُلُّ الْأَمَاكِينِ كَانَ يَعْغُرُهَا الظَّلَامُ،
 وَكُنْتُ وَحْدِي
 فِي مَرَارَاتِ الْأَسَى
 يَتَكَسَّرُ الْآتِي أَمَامِي،
 أَوْ يَصِيرُ
 عَيْبًا أَشَدَّ صَفَاقَةً
 مِنْ وَحْشَةِ الْفُقْدَانِ.

أَرْعَبَنِي الْمَصِيرُ!
 وَأَخَافَنِي مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضِّيَاعِ.
 أَخَافَنِي عَبَثِي.
 وَلَكِنْ جِئْتُ أَنْتِ،
 نَزَلْتِ مِنْ قَلْبِي إِلَى قَلْبِي
 فَأَخْرَجْتِ الْأَسَى مِنْهُ،
 وَلَمَلَمْتِ الْخُطَامَ،
 وَصَارَ وَجْهُكَ شَمْسَ أَيَّامِي،
 تُمَهِّدُ لِي مَفَاتِيحَ الَّذِي يَأْتِي
 لِيَعْتُفَ صَفْوَتِي أَلْقُ كَبِيرُ.
 وَنَقَشْتِ فِي عُمْرِي اخْتِبَارَ الْمُسْتَحِيلِ،
 عَبَّرْتِ مِنْ عَكْرِ إِلَى صَفْوِ
 تَنَاسَلَ فِي الطَّرِيقِ،
 حَمَلْتِ أَحْلَامِي إِلَى الْأَقْصَى
 بِأَجْنِحَةِ السُّنُونُو

فَأَسْتَعَدْتُ جُمُوحِي الْمَفْقُودَ،
وَأَنْتَشَرْتُ عَلَى الْبَسَمَاتِ
يَرْفَعُهَا إِلَى آفَاقِي الْفَرَحِ الْوَثِيرِ...
وَأَنَا أُرَاجِعُ مَا مَضَى...
كَانَتْ حُدُودُ الْهَآوِيَةِ
تَمْتَدُّ نَحْوِي،
وَالثَّوَابِي الذَّآوِيَةِ
تَجْتَاخُ أَقْسَامَ الزَّمَانِ،
وَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ يَهْوِي:
لَمْ يَعْذُ فِيَّ أِبْتِدَاءٌ وَأَنْتِهَاءٌ...
لَمْ يَعْذُ بَيْنِي وَبَيْنَ ظِلَامِي الْمَرْكُومِ
شَيْءٌ أَبْيَضٌ.
كُلُّ الْمَدَى وَجَعٌ مَرِيرٌ.
لَكِنَّ وَجْهَكَ كَنَسَ الظُّلْمَاتِ مِنْ حَوْلِي،
فَأَزْهَرَتِ الدَّقَائِقُ،

وَأَحْتَمَيْتُ بِكَ.
 أَحْتَفْتُ مِنِّي ثُنَائِيَّ الْكُبْرَى،
 فَلَا شَيْءٌ يُحَاصِرُنِي سِوَاكَ،
 وَلَا أَعْتِرَابٌ، بَعْدُ، فِي قَلْقِ التَّسَاوُلِ.
 كُلُّ مَا حَوْلِي بَيَاضٌ وَارِفٌ،
 وَمَدَى يُدَاعِبُهُ الْعَبِيرُ.
 هَذَا هُوَ الْجِزْمُ الْأَخِيرُ مِنَ التَّخَلِّي،
 فَأَمْسَحْ مَرَارَةَ دَهْرِكَ الْعَاتِي،
 وَرَدِّ الْمَوْتَ —
 إِنَّ الْمَوْتَ يَقْهَرُهُ التَّمَلِّي،
 وَأَخْرُجْ إِلَى النُّورِ الْجَدِيدِ
 يُغْلَفِ الدُّنْيَا الْعَبِيرُ.
 هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ!

وَأَنَا أَنَا...

لَكِنَّ وَجْهِي ضَاعَ فِي عَيْنَيْكَ

فَأُنْبِتُ الْأَلْقُ،

وَتَنَاتِرَ الْأَمِّ الطَّوِيلِ عَلَى زَوَايا الْوَقْتِ،

وَأَنْدَفَقْتُ سُيُولَ الزَّهْرِ

تَغْسِلُ مَا أَحْتَرَقُ،

وَتَجْمَعُ الصُّبْحَ الْبَلِيلَ عَلَى مَطَاوي وَعَدِنَا:

هَذَا هُوَ الْحُلْمُ الْمَجْنَحُ

يَجْمَعُ الْأَيَّامَ باقَاتٍ مِنَ الْأَزْهَارِ

تُطْفِئُ مَا تَجْمَعُ

مِنْ حُرُوقِ الْوَهْمِ

فِي نَارِ الْقَلْقِ.

وَأَنَا أَنَا...

لَكِنِّي مُتَجَمِّعٌ فِي قَلْبِكَ الْمَفْتُوحِ
يَحْمِلُنِي النَّشِيدُ إِلَى أَقَاصِي الْمَسْتَحِيلِ
فَتَسْتَحِيلُ سَطُورَ شِعْرِ أَبِيضٍ.
هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ مِنَ التَّمَنِّي.

هَاتِي يَدَيْكَ

نَظْرٌ عَلَى أَحْلَامِنَا،
فَكَأَنِّي رِيحُ شَبُوبٍ
أَرَّحَتْ لِبِدَايَةِ التَّكْوِينِ
فِي عَقْلِي وَظَنِّي...

هَاتِي يَدَيْكَ

فَنَقْطِفَ الْأَحْلَامَ عُنُقُودًا
مِنَ النُّورِ الرَّفِيقِ.

سَأَجْمَعُ الدُّنْيَا بِقَلْبِكَ
كَيْ أَعُودَ مُحَلِّقًا، حَتَّى كَأَنِّي

سَأَصِيرُ خَمْرًا فِي حَيَاتِكَ

تَغْسِلُ الْآلَامَ

يَسْكُبُهَا بِهَا آتٍ مُنِيرٌ.

هَذَا هُوَ الطَّرْفُ الْأَخِيرُ مِنَ الْمَدَى.

هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَخِيرُ...

- ٨ -

كُنْتُ أَعْتَرَابًا فِي سُهولِ الْوَحْدَةِ.
أَخْتَرْتُ أَعْتِرَالَ الْآخِرِينَ.
حَجَبْتُ نوركِ
عَنْ مَدَى أَخْلَامِهِمْ،
وَلَمَمْتُ نَجْمَاتِ الْعِيونِ
وَصُغْتُهَا عُنُقُودِكِ السَّرِيِّ.
لَمْ تَكُنِ النُّجُومُ
إِلَّا عَلَى صَدْرِ السَّمَاءِ
بِقَلْبِكَ الْمُحْجُوبِ.
كُنْتُ تَأَلَّقُ الْقَلْبَ الَّذِي ضَحَّى
وَأَوْثَقَهُ عَلَى الْخِذْلَانِ

ماضيه الأليم.
 كُنْتُ أَنْحِجَابًا
 فِي بَرَارِي الْوَحْدَةِ الْبَيْضَاءِ...
 لَكِنِّي خَرَجْتُ إِلَيْكَ مِنْ زَمَنِي
 وَشَرَعْتُ الْفُؤَادَ،
 فَكُنْتُ فِيهِ،
 فَلَا أَعْتَرِبُ، بَعْدُ،
 بِإِلْقَاءِ عَظِيمٍ.
 عَلَّمْتُ قَلْبَكَ
 أَنْ يَكُونَ مُحْصَنًا،
 وَرَمَيْتِ فِي قَلْبِي بُدُورَ النُّورِ
 فَأَنْكَشَفَ الْجَمَالَ وَفَارَ فِي عَيْنَيْكَ،
 وَأَنْكَفَأَ الصَّرَاعُ،
 وَزُنْزِلَ الْمَاضِي الْقَدِيمُ...
 وَنَزَلَتْ أَنْتِ إِلَيَّ مِنْ قَلْبِي

أَرَقَّ مِنَ السَّدِيمِ،
 فَعَارَ مِنْ قَلْبِي السَّدِيمُ...
 وَسَعَتِ آفَاقَ السَّمَاءِ فَلَمْ تَعُدْ فَوْقَ الْمَدَى،
 بَلْ ظَلَلْتُ قَلْبِي وَقَلْبِكَ،
 وَأَزْتَدْتُ لَوْنَ الْهِيَامِ،
 وَحَدَّدَ الْعِشْقُ أَبْتِدَاءَ تُخُومِهَا،
 فَهَوَتْ عَلَى الْعِشْقِ التُّخُومُ.
 صَارَتْ بَعَيْنَيْكَ السَّمَاءُ،
 وَصَارَ قَلْبُكَ أَنْتِ فِرْدَوْسًا،
 فَلَا ثَمَرَ يُحَرِّمُ فِيهِ،
 أَوْ صِلًا دَمِيمًا.

هَذَا أَحْتَرِاقُ الْوَقْتِ فِي فِرْدَوْسِنَا،
فَالنَّاسُ وَهَمٌّ،
وَالْمَرَارَةُ أَنْجَلَتْ
عَنْ غِبْطَةِ زَرْقَاءَ.
لَيْسَ سِوَى صَهِيلِ الْعِشْقِ
فِي فِرْدَوْسِنَا،
وَسِوَى أَخْضِرَارِ الْوَقْتِ
وَهُوَ يَمْسُ قَلْبَيْنَا...
يُلَامِسُنَا نَسِيمُ النُّورِ،
يَتْرُكُ فِي فُؤَادَيْنَا
دُرُوبًا لَيْسَ يَلْمُسُهَا
سِوَى أَقْدَامِنَا،

وَبَرَارِيًا خَضْرَاءَ
نَسْكُنُهَا بِعَيْنَيْنَا...
وَفِينَا اللَّهُ تَخْرُقُنَا شَرَارَتُهُ،
وَتَمْسَحُنَا الصَّلَاةُ.
هَذَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ،
فَالْأَيَّامُ زَالَتْ،
وَالدُّرُوبُ تَقَاطَعَتْ فِيهِ،
فَلَا تَعَبٌ يُحَاصِرُ جَهْدَنَا،
أَوْ مُسْتَحِيلٌ،
أَوْ أَنَاهُ...

لَا شَيْءَ
فِي هَذَا الْمَدَى الْمَسْكُونِ بِالْأَنْوَارِ
غَيْرَ وَصَالِنَا،
فَاللَّيْلُ ضَوْءٌ،
وَالزَّمَانُ فَصِيدَةٌ بَيِّضَاءُ،

وَالْأَيَّامُ مَجْبِرَةٌ تَفُورُ حُرُوفُهَا،
وَأَنَا وَأَنْتِ نُعِيدُ تَسْمِيَةَ الْخَلَائِقِ
فِي مَدَى الْفِرْدَوْسِ،
لَا شَكْلٌ يُحَدِّدُهَا،
وَلَا حَدٌّ يُظَلِّلُهَا،
وَلَا فِيهَا صِفَاتٌ...
هَذَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ...
نُنْشِدُ فِيهِ
مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ عِشْقٍ،
فَرْتِّلْ، يَا فُؤَادِي، شِعْرَكَ الزَّاهِي،
وَعَنِّي، يَا حَيَاةُ...

ديزيره سقال

بنفسجة الحطم



٢٠١٨

١ - الغياب



- ١ -

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَارِقًا فِي الصَّمْتِ.
 كَانَ الْغِيَابُ هُوَ الْحُضُورَ الْوَحِيدَ، وَالسُّكُونُ
 الْعَمِيقُ مُحِيْمًا عَلَى ذَاتَيْنَا فِي حُضُورِ الذَّاتِ الْأُخْرَى
 تَحْجُبُنَا مَعًا... وَلَيْسَ فِي عَيْنَيْنَا غَيْرَ صُورٍ غَامِضَةٍ،
 تَنْكَسِرُ مِنْ حَوْلِنَا، وَلَا فِي آذَانِنَا غَيْرَ هَمْسَاتٍ بَعِيدَةٍ
 الصَّدى، غَرِيبَةِ الْإِيقَاعِ، تَشُدُّنَا إِلَيْهَا، وَلَكِنَّا لَمْ نَدْرِ.

كَانَ الْغِيَابُ هُوَ الْحُضُورَ الْوَحِيدَ.

كُلُّ شَيْءٍ غَائِبٌ فِي الصَّمْتِ.

كُلُّ شَيْءٍ فِينَا لَا حِسَّ لَهُ، وَلَكِنَّهُ قَائِمٌ

كَالْقَدْرِ...

وَلَمْ نَعْرِفْ قَطُّ

أَنَّ فِينَا كُلَّ هَذَا الْعَبَقِ الرَّائِحِ،
وَأَنَّ ذَاتَيْنَا يُمَكِّنُ أَنْ تَنْفَتِحَا يَوْمًا عَلَى حُلْمٍ أَجْمَلٍ
مِنَ الْخَيَالِ...

وَلَمْ نَعْرِفْ قَطُّ

أَنَّ بَيْنَنَا كُلَّ هَذَا الدُّهُولِ،

وَأَنَّ الْقَلْبَ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْتَوِيَ يَوْمًا عَلَى هَذَا
الْبَحُورِ الْمَجْنَحِ الَّذِي يَطِيرُ بِنَا إِلَى جِبَالِ الْآلِهَةِ، وَيُلْقِي
بذَاتَيْنَا فِي قِمَّةِ الدُّنْيَا، نَنْزِلُ مِنْهَا مَعًا عَلَى خُيُوطِ
الضَّوِّءِ النَّاظِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ.

كَانَ الْغِيَابُ هُوَ الْخُضُورَ الْوَحِيدَ.

وَكَانَ السِّرُّ الْقَابِعُ فِي ذَاتَيْنَا مَحْجُوبًا عَنَّا، بَعِيدًا
عَنْ قَبْضَةِ الْعَقْلِ، وَخَارِجَ إِدْرَاكِ الْحَوَاسِّ...
وَمَعَ هَذَا،

كَانَ يُحَرِّكُنَا شَيْءٌ غَرِيبٌ كَالهَاجِسِ، مَا عَرَفْنَاهُ،
وَلَا التَّقَطُّنَا أَهْتِرَازَاتِهِ، كَأَنَّ عُيُونَنَا كَانَتْ نَائِمَةً، تَرَى وَلَا
تَرَى...

كَانَتْ الرَّغْبَةُ رِذَاذًا مُفَنِّعًا، مُحْتَبِئَةً تَحْتَ أَعْمَاقِنَا،
تَنْهَلُ عَلَيْنَا أَنَا بَعْدَ آنٍ، وَتَرْتَقِصُ فِي أَحْلَامِنَا عَبْرَ أَفْنِعَةٍ
لَا حَصْرَ لَهَا، وَعَبْرَ نِدَاءَاتٍ مُبْهَمَاتٍ تَتَنَاهَى إِلَى
قَلْبِنَا، خَفِيفَةً، مَحْجُوبَةً بِظِلِّ التَّلَاقِي الْبَرِيِّ.

هَذَا كَانَ فِي الْبَدءِ،

مَعَ حُضُورِ الْغِيَابِ الْهَادِي، وَالْأَفْنِعَةِ الَّتِي كَانَتْ
تَحْجُبُنَا.

كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا كَانَ قِنَاعُهُ أَسْمَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ...
وَخَلْفَهُ نَفْسٌ هَادِيَةٌ، نَائِمَةٌ، قَانِعَةٌ بِحَاضِرِهَا،
هَانِيَةٌ بِهِ، لَا تَرَى إِلَى ضَحِيجِ الْأَعْمَاقِ الصَّامِتِ، وَلَا
تَسْتَقِرُّ عَلَى غَيْرِ الْهُدُوءِ الطَّوِيلِ...

- ٢ -

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَنَا أَبْيَضَ، وَلَكِنَّهُ مَسْتَوْرٌ فِي
نورِ الدَّاحِلِ، يَبْرُقُ وَلَا يُرَى، وَيَفِيضُ بِحَقَّةٍ، وَلَا يُحَسُّ
بِهِ، وَيَسْرِي فِي العُرُوقِ سَرِيانَ الحَيَاةِ فِي حِقَّتِهَا وَرَفَّتِهَا.

كَانَتْ مَلَامِحُنَا ذَائِبَةً فِي مَلَامِحِ حَفِيَّةٍ، وَحُضُورُ
ذَاتِنَا يُلْقِي عَلَيْهِ الغِيَابُ غِلَالَةً تَنْسُجُهَا الصَّدَاقَةُ،
وَيُطَرِّزُ أَطْرَافَهَا الإِخْلَاصُ وَالأَلْتِزَامُ.

كَانَتْ مَلَامِحُنَا تَحْتَصِرُهَا نِظْرَةُ غَرِيْبَةٍ، أَوَّلَمَسَةٌ
رَقِيْقَةٌ، تَرَحَّلُ فِيهَا أُغْنِيَةُ الحُلْمِ، وَنَشِيدُ التَّوَقِّ الصَّامِتُ
الَّذِي يَتَحَرَّكُ، مُحْتَجِبًا، كَشَرَارَاتِ البَرِيْقِ.

كُلُّ شَيْءٍ هَادِيٌّ...

كُلُّ شَيْءٍ رَقِيْقٌ كَهَمْسِ الضِّيَاءِ.

كُلُّ شَيْءٍ يَمْتَلِي تَحْتَ سِتَارِ الْغِيَابِ...
وَلَا حِسَّ فِينَا...

لَا هَسِيَسَ سِوَى عِرَاقَةِ الصَّدَاقَةِ الَّتِي تَرْقَى
بِالذَّاتِ إِلَى فَوْقِ، إِلَى حَيْثُ كَبُرَ الْإِحْسَاسُ يَرْسُمُ الْعَالَمَ
فَنَاعَةً بِمَا هُوَ، وَإِعْلَاءً لِلْقِيمِ الَّتِي تَصْنَعُ الْإِنْسَانَ...
كُلُّ شَيْءٍ كَانَ غَائِبًا فِي حُضُورِ الذَّاتِ الثَّالِثَةِ:
كَانَتْ عَرِيقَةً فِي الْحَبَّةِ، مُنْجَذِرَةً فِي التَّفَانِي، شَمَاءً،
بَيْضَاءً كَأَجْنِحَةِ الْمَلَائِكَةِ، رَقِيقَةً كَالنُّورِ الْمُنْهَلِّ مِنْ سِدْرَةِ
الْمُنْتَهَى.

كُلُّ شَيْءٍ كَانَ غَائِبًا فِي حُضُورِ الذَّاتِ الثَّالِثَةِ،
ذَائِبًا فِي حُلْمٍ مُبْهِمٍ، تَكْتَضُّ فِيهِ الْغَرَابَةُ، وَيَنْكَسِرُ فِيهِ
التَّفْسِيرُ...

كُلُّ شَيْءٍ كَانَ غَائِبًا فِي حُضُورِ الذَّاتِ الثَّالِثَةِ...

وَالصُّورُ الْمَرْكُومَةُ فِينَا تَرَحَّلُ فِي عَيْبِ الصَّدَاقَةِ،
وَتَأْنَسُ إِلَى دَلَالَاتِ بُحَانِبِ مَعْنَاهَا، تَقُودُهَا إِلَيْهَا إِرَادَةٌ
الإِخْلَاصِ فِينَا، وَكَرَامَةُ الصَّدَاقَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ كَانَ غَائِبًا فِي حُضُورِ الدَّاتِ الثَّلَاثَةِ...
وَمِنْهَا كُنَّا نَسْتَمِدُّ حُضُورَ ذَاتِنَا مَعًا، وَنُخْلَعُ
عَلَيْهَا الصُّورَ الَّتِي نُرِيدُ، أَوِ الَّتِي يُمْلِيهَا عَلَيْنَا لِأَوْعَيْنَا
لِنَحْتَفِظَ بِرِبَاطِ الْكَرَامَةِ، وَنَسْلُكَ، ثَلَاثَتْنَا، سَبِيلَ
التَّجَانُسِ الَّذِي تُرْصَعُهُ نُجُومُ الْقِيَمِ، وَحَدِيقَةُ الْحَبَّةِ.

- ٣ -

كُلُّ شَيْءٍ غِيَابٌ...
غَيْرَ أَنَّ اللَّهَيْبَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ
تَحْتَ جَلِيدِ الزَّمَانِ
وَبَيْنَ الثَّنَايَا
يُمَهِّدُ تَحْتَ الْحِجَابِ
لِيَنْفُسَاجَةَ أَنْسَتْ عَبَقَ الْقَلْبِ
بَيْنَ الْمَرَايَا،
وَعَانَتْ طَوِيلًا
ظِلَامَ الْيَبَابِ...

كُلُّ شَيْءٍ غِيَابٌ ...
 وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ
 سِرُّ الدَّلَالَاتِ
 وَهِيَ تَشْطَى هُنَا وَهُنَاكَ
 كَضَوْءِ النُّجُومِ،
 وَتَعْبُرُ بَيْنَ الْقِرَاءَاتِ
 مُحْفِيَّةً
 فِي تَرَامِي التُّخُومِ ...
 وَتَعْرِقُ، مَسْتَوْرَةً،
 فِي بَرِيقِ السَّرَابِ ...

كُلُّ شَيْءٍ غِيَابٌ ...
 كُلُّ نَبْضٍ غَرِيبٍ
 تَكْوَمُ بَيْنَ الصُّورِ

وَتَحَبَّأً بَيْنَ تَفَاصِيلِهَا
 عَنِ عُيُونِ الْبَشَرِ...
 كُلُّ شَيْءٍ حِجَابٌ
 يُؤَجِّلُ كَشْفَ مَعَانِيهِ
 رَسْمُ الْقَدَرِ...

كُلُّ شَيْءٍ غِيَابٌ...
 كَيْفَ كَانَ الْحُضُورُ الرَّقِيقُ
 يُظَلِّلُهُ كُلُّ هَذَا الْغِيَابِ!!

- ٤ -

لَيْسَ يَلْفُتُنَا لَمَحٌ، أَوْ إِشَارَةٌ، أَوْ صَدَى يَفِرُّ مِنْ
دَاخِلِنَا إِلَى عَيْنَيْنَا.

كُلُّ مَا فِيْنَا هَادِيٌّ، غَارِقٌ فِي بَرَارِي الْإِلْفَةِ.

كُلُّ مَا فِيْنَا صَامِتٌ كَضَجِجِ السُّكُونِ.

لَيْسَ فِيْنَا مَا يَقْوَدُ الْقَلْبَ إِلَى الْقَلْبِ، أَوْ يَجْعَلُ

الإِعْلَانَ أَمْرًا يَخْرُجُ مِنْ ضَمِيرِ الدُّهُولِ إِلَى يَقِينِ النُّورِ.

لَيْسَ فِيْنَا مَا يَقُولُ، وَنَحْنُ فِي حَضْرَةِ الْغِيَابِ،

سِوَى نُشِيرَاتٍ مِنْ شُعُورٍ، وَكُلِّ هَذَا الصَّمْتِ الطَّوِيلِ...

أَيُّ أَنْبِثَاقٍ يَكُونُ إِذَا أَنْكَشَفْتَ الصُّورَةَ عَنْ

مَعْنَى، فَأَخْتِ الدَّاتُ ذَاتَهَا الْأُخْرَى، فِي حُدُودِ الْوَاقِعِ،

حَيْثُ تَنْحَفِرُ الْحُدُودُ خَارِجَ النَّسِيَانِ؟

أَيُّ انْبِثَاقٍ يَكُونُ إِذَا اخْتَرَقَتْ ذَاتَانَا حُدُودَ
 الْغِيَابِ، فَحَطَمَتِ الْقِيَمَ الَّتِي قَامَتَا عَلَيْهَا، وَفَجَّرَتَا
 صَفْحَةَ اللَّاوَعِي عَنِ وَعْيِ لَجُوجِ خَارِجِ حُدُودِ الْبِرَاءَةِ
 وَالْمَعْقُولِ؟

لهذا،

ظَلَّ الْغِيَابُ يُقِيمُ أَسْوَارَهُ فِينَا، وَتَمَسَّكَتْ بِهِ ذَاتَانَا
 كَشْفِيرِ خَلَاصٍ.

لَا شَيْءَ نَحْتَمِي بِهِ غَيْرَ التَّفْسِيرِ الْغَائِبِ عَنِ
 طَبِيعَةِ الدَّلَالَاتِ.

لَا شَيْءَ نَرُصِّدُهُ غَيْرَ الْحَاجِزِ الصَّفِيقِ الَّذِي
 نُقِيمُهُ بَيْنَ الْوَاقِعِ وَالْحُلْمِ.

لَا شَيْءَ يَكْشِفُ عَنِ بِنْفُسَجَةِ الْحُلْمِ الَّتِي تَنْمُو
 فِي ذَاتِي غَيْرَ لُمَعِ الصُّورِ الْغَامِضَةِ تَرْسُمُهَا أَعْمَافُنَا
 الْمُخْتَبِئَةُ تَحْتَ جَلِيدِ الصَّمْتِ.

لَا شَيْءَ إِلَّا الْغِيَابَ...

٢ - اللُّمَح



- ١ -

تَتَرَكَضُ الْأَخِيْلَةَ بَيْنَنَا، وَتَنْعَطِفُ فِي قَلْبِ
الذَّاتِ الثَّالِثَةِ...

صَفَاءُ السَّعَادَةِ يَخْتَرِقُنَا جَمِيعًا، وَصَفَاءُ الْإِحَاءِ
تَتَحَرَّكُ شَرَارَتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَوْلَنَا؛ وَفِي كُلِّ شَرَارَةٍ قِصَّةٌ
حُبُورٌ، وَتَأَلْفٌ، وَتَكَامُلٌ...

كَانَتْ مَحَبَّةٌ قَلْبِنَا تَنْصَبُ فِي ذَاتِنَا الثَّالِثَةِ، وَهِيَ
الَّتِي جَمَعْتَنَا مَعًا، فَتَكَامَلْنَا، وَلَمْ نُدْرِكْ قَطُّ، أَنَا وَأَنْتِ، أَنَّ
لَمَعًا مُشْرِقَةً تَتَحَرَّكُ فِينَا، وَلَا آنَسْنَا غَيْرَ عَبِيرِ التَّخَلِّي
يَفُوحُ فِي نَفُوسِنَا.

لَمَحٌ وَأَخِيْلَةٌ تَتَكَسَّرُ، أَنَا بَعْدَ آنٍ، فِي الصُّورِ،
وَتَعْرِقُ فِي الضَّبَابِ...

لُمَحُّ وَأَخِيْلَةٌ لَمْ يَكُنْ مَعْنَاهَا جَلِيًّا، وَلَا كَانَتْ
دَلَالَتُهَا مَكْشُوفَةً فِي ذَاتَيْنَا.

لُمَحُّ تَأْتِي مِنْ أَعْمَاقِنَا، مِنْ جَوْهَرِ كِيَانِنَا الصَّافِي،
لَمْ نُدْرِكْ يَوْمًا أَنَّهَا مُتْرَابِطَةٌ، وَأَنَّهَا تَنْدَفِقُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
مِنَّا.

كَانَتْ مَحَبَّةُ قَلْبِنَا تَنْصَبُ فِي ذَاتِنَا الثَّالِثَةِ، وَتُعَرِّدُ
فِيهَا مَعَ هَزِيحِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَانِ الْفَسِيحَةِ، فِيمَا إِشْرَافُنَا
وَتَأَخِينَا يَحْمِلُنَا إِلَى حَدَائِقِ الصَّفَاءِ.
لَكِنْ...

لَكِنَّ شَيْئًا مُلِحًا لَمْ يَجِدْ لَهُ مَكَانًا، وَظَلَّ يَتَحَرَّكُ
فِينَا، مَتَوَتِّرًا، غَامِضًا، دَاخِلَ حِلَّةٍ مَا أَدْرَكْنَا جَوْهَرَهَا، وَلَا
كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ نُدْرِكَهُ طَالَمَا أَنَّ نَبْضَاتِ قَلْبِنَا كَانَتْ
تَتَحَرَّكُ فِي صَفَاءِ الذَّاتِ الثَّالِثَةِ.

كَانَ شَيْءٌ مُلِحٌّ، غَامِضٌ، يُرَاوِحُ فِي ذَاتَيْنَا، تَظْهَرُ
لَمَحُّهُ، مِنْ أَنْ إِلَى آنٍ، عَلَى صَفْحَةِ نُفُوسِنَا، وَتَطْفُو فِي
لَاوَعِينَا، كَالزُّورِقِ الْبَعِيدِ...

لَا شَيْءَ وَاضِحٌ فِي قَرَارَةِ ذَاتَيْنَا غَيْرَ الصَّفَاءِ الَّذِي
تَمَسَّكْنَا بِهِ.

لَا شَيْءَ ثَابِتٌ فِي أَعْمَاقِنَا غَيْرَ تِلْكَ اللَّمَحِ
تَتَقَافَزُ كَالشَّرَارَاتِ الْبَعِيدَةِ، وَتَتَحَرَّكُ فِي أَعْيُنِنَا كَالرَّذَازِ
الْمُخْتَبِئِ دَاخِلِ حَدَائِقِ الْقَلْبِ الْمَسْحُورِ...

لَا شَيْءَ يَفِرُّ مِنْ ذَاتَيْنَا غَيْرَ ذَرَاتٍ صَغِيرَاتٍ مِنْ
أَثِيرٍ صَافٍ كَالضُّوءِ، لَمْ نَعْرِفْهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَا أَدْرَكْتُ
حَوَاسِنَا أَنَّ لَهُ تِلْكَ الْمَعَانِي السَّحِيقَةَ، وَأَنَّ لَهُ هَذَا الْعُمَقَ
الضَّارِبَ فِي الْأَعْوَارِ...

- ٢ -

كُنَّا ثَلَاثَتُنَا ذَاتًا وَاحِدَةً، نَتَحَرَّكُ مَعًا، وَنَفْرَحُ
وَنَحْزَنُ مَعًا، وَنَرَى إِلَى الدُّنْيَا مَعًا، فَلَا شَيْءَ سِوَى
التَّنَاغُمِ يَحْكُمُنَا.

لَمْ نَكُنْ نُدْرِكُ، أَنَا وَأَنْتِ، أَنَّ شَيْئًا مَا، فِي قَرَارَاتِنَا
الْعَمِيقَةِ، قَدْ وُلِدَ وَتَرَعَّرَعَ، وَأَنَّ الحَيَاةَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ لَنَا
خَارِجَ تِلْكَ الثُّلَاثِيَّةِ.

ثَلَاثُ ذَوَاتٍ سَطَّرَتْ لِأَنْفُسِهَا طَرِيقَ الِتِّقَاءِ،
وَرُؤْيَا تَكَامُلٍ، وَتَلَاقِيًا فِي المَحَبَّةِ الَّتِي تَجْمَعُ كُلَّ
الأَطْرَافِ... وَمَ نُدْرِكُ لِحِظَةً، أَنَا وَأَنْتِ، أَنَّ نَمَّةَ بَرِيقًا
يَتَحَرَّكُ، وَأَنَّ لُمَعَهُ تَنْشُرُ، خَارِجَ نُفُوسِنَا، دَلَالَاتٍ

غامِضَةً، غَرِيبَةً، ما عَرَفْنَا يَوْمًا مَعْنَاهَا، وَلَا قَدَّرْنَا لَهَا
حُدُودًا خَارِجَ ثَلَاثِيَّتِنَا الْمُمَيَّزَةِ.

كُنَّا، فِي كُلِّ خَطْوَةٍ نَخْطُوهَا، نَرْسُمُ الزَّهْوَ عَلَى
جُذُرَانِ الْآخَرِينَ، لِنَتَمَتَّلِيَ حَيَاتِنَا رِضَى وَأَقْتِنَاعًا. وَكُنْتُمَا،
أَنْتِ وَهِيَ، فِي سَعَادَةِ الْمَسَاءَاتِ، يُعَانِقُ زَهْوُكُمَا عِيُونَ
النَّاسِ، وَتَمَسَّحُ بِهَجَّةِ كُلِّ مِنْكُمَا أَحْزَانَ الْآخَرِ، كَمَا
يَغْسِلُ الْمَاءُ مَا يَعْلَقُ بِالْجَسَدِ مِنْ عَكْرِ.

ثَلَاثَ ذَوَاتٍ كُنَّا كَالذَّاتِ الْوَاحِدَةِ، تَتَلَقَى فِي
إِطَارِ الْإِشْرَاقِ، وَتَعْلُو عَى الْمَصَاعِبِ، وَتُحْمَدُ نِيرَانَ
التَّوْتُرِ...

- ٣ -

كَانَتْ الصُّورُ الْمُبْهَمَةُ تَتَحَرَّكُ مِنْ أَعْمَاقِنَا، أَنَا
وَأَنْتِ، فِي أَفْنَعَةٍ مُبْهَمَةٍ، لَا حَصْرَ لَهَا، لِتَنْكَسِرَ عَلَى
السَّطْحِ كَالْحُلْمِ، أَوْ كَالرُّؤْيِ الْغَرِيبَةِ.

وَلَمْ نَكُنْ نُدْرِكُ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَ قِرَاءَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ،
وَدَلَالَاتٍ خَلْفَ ظَاهِرِهَا الْعَادِيِّ، وَأَنَّهَا يُمَكِّنُ أَنْ تَبْوَحَ
بِعَازِلِ مَا يَبْوَحُ بِهِ الْعَقْلُ.

لَمْ نَكُنْ نُدْرِكُ أَنَّ حُضُورًا مُخْتَلِفًا، خَارِجَ ثَلَاثِيَّتِنَا،
يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مُحْتَبِنًا فِي بُدُورِهِ، وَأَنَّ نُطْفَ حَيَاةٍ
جَدِيدَةٍ، مُحْتَلِفَةٍ، تَتَجَمَّعُ تَحْتَ السَّطْحِ، فِي انْتِظَارِ أَنْ
تَبْدَأَ.

لَمْ نَكُنْ نُدْرِكُ أَنَّ كُلَّ لَمْسَةٍ، أَوْ نَظْرَةٍ، أَوْ هَمْسَةٍ،
كَانَتْ تَحْمِلُ عَبْقًا آخَرَ تَحْتَ عَبَقِهَا الظَّاهِرِ، وَلَا خَطَرَ

لَنَا يَوْمًا أَنْ مِثْلَ هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْصَلَ إِذَا قُدِّرَ لَهُ أَنْ
يُخْرَجَ مِنْ إِسَارِهِ.

لَمَعُ تَتَكَرَّرُ... هُنَا وَهُنَا... فِي نُشَيْرَاتِ
صَغِيرَاتٍ، لَا تَنكَشِفُ لِعَيْرِ الْعَيْنِ الْمُتَأَمِّلَةِ، تَحْمِلُ فِي
أَعْوَارِهَا بَذْرَةَ حَيَاةٍ أُخْرَى، مَا فُيِّضَ لَنَا، آنَذَاكَ، أَنْ
نُدْرِكَهَا، أَوْ نَرَى حُصُولَهَا.

كُلُّ شَيْءٍ كَانَ هَادِتًا... حَتَّى الْهَجُوعِ...
كُلُّ شَيْءٍ كَانَ رَائِعًا، خَالِبًا، كَأَصْفَى مَا يَكُونُ.
كُلُّ شَيْءٍ كَانَ مُتَنَاعِمًا، صَافِيًا، كَازْرِقِ
السَّمَاءِ...

وَلَمْ يُكْتَبْ لِتِلْكَ الْأَخِيلَةِ أَنْ تَنكَشِفَ لِعَيْنَيْنَا، أَوْ
تَنْفَتِحَ عَلَى مَعْنَى جَدِيدٍ غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ، أَوْ تَحْمِلَ
دَلَالَاتٍ بَعِيدَةٍ تُوصِلُهَا إِلَى مَا وَرَاءَ الْغُمُوضِ.

لَمْ يُكْتَبْ لَيْتَكَ الْأَخِيلَةَ أَنْ تَصِيرَ أَشْكَالًا
 مُحَدَّدَةً، أَوْ أَنْ تَنْصَبَّ فِي قَوْلِ مُعَيَّنَةٍ، تَقُودُنَا إِلَى مَا
 هُوَ خَارِجٌ ثَلَاثِيَّةٌ ذَاتِنَا.

كُلُّ هَذَا كَانَ هَاجِعًا فِينَا.

وَكَانَتْ حُدُودُ الْمَحَبَّةِ، وَحَدَهَا، تَحْكُمُ أَمْتِدَادَنَا،
 وَتَرْسُمُ مِنْ حَوْلِنَا سَوْرًا وَاقِيًّا، يَصُونُ تَكَامُلَنَا، وَيَرْعَى
 قُلُوبَنَا.

- ٤ -

لُمُحٌ وَأَخِيْلَةٌ
 تَمُرُّ كَأَنَّهَا لَمَعَاتُ نَجْمٍ
 بَصَّ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ.
 لُمَعٌ تَذُوبُ
 وَتَحْتَبِي بَيْنَ الصُّورِ...
 لُمَعٌ تَكْوَمُ فِي الْحَفَاءِ
 وَتَسِيلُ فِي لَأْوَعِينَا
 طَيْفًا عَبْرَ...

أَلَدَّهْرٌ يَكْتُبُ رِحْلَةً،

وَيَضِيعُ فِي تَفْصِيلِهَا
 مَا صَوَّرْتُهُ عُيُونُنَا،
 وَيَغِيبُ فِيهَا
 مَا رَأَتْهُ عُقُولُنَا،
 وَتَوَاصَلْتُ ... حَتَّى الدُّهُولُ ...
 لَمْ نَدْرِ أَنَّ الدَّاتَ
 يُمَكِّنُ أَنْ تَعُودَ ثَلَاثَةَ مَفْصُولَةٍ،
 أَوْ أَنَّ مَا رَكَمْتَهُ أَعْيُنُنَا
 عَلَى قَلْبٍ بَتُولُ
 يَنْمُو ...
 لِيَعْدُو تُرْبَةً
 فِيهَا بِنَفْسِجَةٍ رَوَاهَا الحُلْمُ،
 وَأَنْتَقَلْتُ إِلَى قَلْبِي
 فَلَا زَهْرٌ سِوَاهَا.
 لَمْ نَدْرِ

أَنَّ بَهَاءَنَا الْمَمْتَدَّ
يُمْكِنُ أَنْ يَصِيرَ بَدَايَةَ مَفْتُوحَةٍ،
لَا يَسْتَقِيمُ لَنَا مَدَاهَا...
أَوْ أَنَّ مَا فِي الْقَلْبِ
أَبْعَدُ مِنْ خَيَالِ الْعُقُولِ...
مَا كُنْتُ أَعْرِفُ
مَا يُجِبُّهُ الْعُمُوضُ
بِقَلْبِنَا الْمَفْتُوحِ،
أَوْ مَاذَا يَقُولُ؟

- ٥ -

كُنَّا، مَعًا، نَرْحَلُ فِي سُهولِ الحُبورِ، نُقِيمُ،
ثَلَاثَتَنَا، أَحْلَامًا، وَنَنسِي نُقْصَانَ العَالَمِ مِنْ حَوْلِنَا.
سُنُونَ طَوِيلَةً حَمَلَتْ زَهْوَنَا هَذَا، مَلِيئَةً بِالزُّهُورِ،
يُنْسِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا الآخَرَ هُمومَهُ، وَيَسْتَمِدُّ مِنْهُ قُوَّةً،
وَيَتَجَاوَزُ مَعَهُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَشُدَّ بِهِ إِلَى مَرَاةِ الأَرْضِ.
وَكَانَتِ اللَّمْحُ وَالخَيَالَاتُ المَتَعَابِيَةُ تَتَقَاطَعُ فِي
ذَاتِنَا، أَنَا بَعْدَ آنٍ، تَنْمُو وَتَتَفَتَّحُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ
دَلَالَتُهَا جَلِيَّةً، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تَتَخَلَّى عَن أَفْنِعَتِهَا الغَرِيبَةِ،
فَاتِحَةً البَابَ لِإِنْفَسَاجَةِ الحُلْمِ لِتَنْتَقِلَ، شَيْئًا فَشَيْئًا، إِلَى
تُرْبَةِ القَلْبِ، وَتَنْغَرِسَ فِيهَا، وَتَنْمُو، بَطِيئًا بَطِيئًا، فِي
السَّرِّ، حَتَّى تَجِدَ وَقْتًا تَنْكَشِفُ فِيهِ، وَيَسْقُطُ عَنْهَا
القِنَاعُ.

٣ - الافتراق (أو رحيل الذات الثالثة)



- ١ -

أَنْفَجَرَ الْغِيَابُ فِي حَدِيقَةِ ذَاتِنَا الْمَثَلَّةِ لِيَشْلَمَهَا.
 صَهَلَ الْحُزْنَ ضَارِبًا بِحَوَافِرِهِ وَحَدَّةَ السَّعَادَةِ،
 فَأَنْشَعَبَتْ ذَاتُنَا، وَعَبَّرَ الْهَوْلُ إِلَى وَجْدَانِنَا، فَقَوَّضَهُ
 تَقْوِيضًا، وَسَقَطَ السُّورُ الَّذِي يَجْمَعُنَا.
 أَنْسَلَ الظَّلَامُ إِلَيْنَا، وَاخْتَرَقَ سُورَ الْإِلْفَةِ، وَمَدَّ
 يَدًا مِنْ شَوْكِ لِيَسْتَنْزِعَ ذَاتِنَا الثَّالِثَةَ.

كَانَتْ هَذِهِ مَلَكًَا رَقِيقًا، حَلَّ فِي حَيَاتِي، فَكَوَّنَنِي
 لِسِتِّ وَثَلَاثِينَ عَامًا، وَرَافَقَ تَكْوِينَ ذَاتِنَا الثَّانِيَةَ، أَعْوَامًا
 عَدِيدَةً، حَتَّى رَدَّ إِلَيْهَا بَعْضَ السَّعَادَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ
 الْحُطَامُ الَّذِي حَوْلَهَا يَشُدُّهَا إِلَيْهِ.

كَانَتْ ذَاتِنَا الثَّالِثَةُ الصَّوْتِ السَّمَاوِيِّ الَّذِي
 أَنْتَظَرْتُهُ طَوَالَ حَيَاتِي: مَلَكَ أَنْتَظَارِي الَّذِي حَلَّ فِي

قَلْبِي، فَأَلْبَسَهُ الضَّوْءَ، وَأَحَاطَهُ بِالْبَهْجَةِ، وَأَكْمَلَ فِيهِ
نِعْمَةَ الْحَيَاةِ...

وَكَانَتْ هَذِهِ الذَّاتُ النُّورَ الَّذِي انْبَثَقَ فِي قَلْبِي،
فَأَكْمَلَ فِيَّ صُورَةَ اللَّهِ، وَأَعَادَ حُدُودَ السَّمَاءِ، وَحَوَّلَ
حَيَاتِي بُسْتَانَ وَرْدٍ، وَاخْتَصَرَ جَمِيعَ النَّسَاءِ...

وَكَانَتْ كَذَلِكَ الْبَلْسَمَ الَّذِي كَفَّفَ جِرَاحَ
الذَّاتِ الْأُخْرَى، بَعْدَ أَنْ صَدَّعَتْهَا الْأَيَّامُ، وَتَرَكْتُ فِيهَا
أَسَى وَآلِمًا لِأَعْوَامِ طَوِيلَاتٍ...
عَبَّرَ الْحُزْنَ إِلَيْنَا.

أَقْفَلَ الْأَعْيُنَ عَلَى غِيَابِ قَاتِلِ، ظَالِمٍ، لَوْنُهُ
كَاخْتِنَاقَاتِ الْأَسَى، أَوْ كَثُوبِ الْيَأْسِ حِينَ يَكْسُو
النُّفُوسَ.

تَحَطَّمَ الْقَلْبُ.

إِنْثَلَمَتْ وَحْدَهُ ذَوَاتِنَا.

تَصَدَّعَ الْوَاقِعُ حَوْلَنَا.

إِنْطَفَأَتْ أَنْوَارَ الْأَحْلَامِ، وَاحْتَرَقَتْ الذَّاتُ فِي
لَطَى الْفَاجِعَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ صَارَ حَاوِيًا.

كُلُّ مَا حَوَّلِي ذَاوٍ، مُنْكَسِرٌ، أَصَمُّ.

كُلُّ مَا حَوَّلِي بَارِدٌ، مُعْتَمٌ، وَالْحَيَاءُ انْطَفَأَ فِيهَا

الْإِشْرَاقُ، وَأَزْتَدَتْ صَمَتَهَا الْعَقِيمَ.

كُلُّ مَا حَوَّلِي مُنْكَسِرٌ، صَامِتٌ، وَالشُّعْرُ انْحَجَرَ

فِي سُكُونِهِ الرَّهِيْبِ، تُحَاصِرُهُ لُغَةٌ مَوْمِيَاءٌ...

صَمَتَ الشُّعْرُ، فَكُلُّ الْحُرُوفِ بُكَاءٌ!

صَمَتَ الشُّعْرُ... وَانْطَفَأَتْ الْقَصِيدَةُ.

لَا شَيْءَ يَلْمَعُ حَوَّلِي وَحَوْلِكَ إِلَّا ظَلَامَاتُ

الْحَيَّةِ، وَمَرَارَةُ الْفُقْدَانِ، وَصَمْتُ الْوَحْدَةِ.

لَا شَيْءَ حَوَّلِي وَحَوْلِكَ مُتَلَبِّئٌ...

كُلُّ شَيْءٍ مَائِعٌ.

كُلُّ شَيْءٍ بَارِدٌ حَتَّى الصَّقِيْعِ.

كُلُّ شَيْءٍ غَارِقٌ فِي الْمَرَارَةِ الْخَانِقَةِ.
هَذَا أَوْ أَوَّانُ الْحُزْنِ.
نَفْسُنَا حَزِينَةٌ...
نَفْسُنَا حَزِينَةٌ... حَتَّى الْمَوْتِ!

- ٢ -

ذابَ فينا ضياءُ الحُبورِ،

وَمَا عَادَتِ الشَّمْسُ

تُشْرِقُ فِي القَلْبِ،

كَانَ القَتَامُ

وَخَدَهُ المَزْدَهِي حَوْلَنَا، وَالظَّلَامُ

يَضْرِبُ القَلْبَ حَافِرُهُ،

وَيُهْدَمُ جِسْرَ السَّلَامِ.

أَيُّهَا الرَّبُّ، مَاذَا اقْتَرَفْتُ؟!

لِمَاذَا انْكَسَرَتْ بِقَلْبِي

وَكُنْتُ اكْتَمَلْتُ؟

وَكَيفَ هَجَرْتَ ابْتِسَامَتَهَا،

وَتَرَكْتَ حَدِيقَةَ قَلْبِي،
وَكَيْفَ أَحْتَجِبْتُ؟!

كُلُّ شَيْءٍ
تَحَطَّمَ فِي لُجِّ الْوَقْتِ،
وَالْحُزْنُ أَرْحَى سَتَائِرَهُ
وَتَكْوَمَ فِينَا
لِيَمْسَحَ وَجْهَ السَّمَاءِ.
لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا
غَيْرُ خَيْطٍ خَفِيٍّ
تَوَارَى وَرَاءَ حُدُودِ الْمَسَاءِ.
كُلُّ شَيْءٍ تَقَطَّعَ فَيْكَ وَفِيَّ،
وَأَنْسَتْ فِي حُزْنِي الْمَرَّ
طَعْمَ الْفَنَاءِ.

كُلُّ شَيْءٍ تَقَطَّعَ، يَا رَبُّ، فِينَا،
وَأَفْرَغَ هَوْلُ الْقَضَاءِ صَلَاتِي.

كُلُّ شَيْءٍ تَقَطَّعَ فِينَا،
وَضَاعَتْ حُدُودُ حَيَاتِي،

وَمَا عُدْتُ أَعْرِفُ

كَيْفَ أُوَارِي أُسَايَ،

وَكَيْفَ أُعِيدُ الضِّيَاءَ

إِلَى كَلِمَاتِي...

كُلُّ شَيْءٍ تَقَطَّعَ فِينَا...

فِيَا رَبُّ، كَيْفَ أُصَلِّي

وَأَنْتَ مَسَحْتَ سَمَائِي،

وَأَقْفَلْتَ عَيْنَيْكَ عَنِّي،

وَضَيَّعْتَ وَجْهَكَ فِي الْيَأْسِ

حِينَ ابْتَعَدْتُ؟

فَكَيْفَ هَجَرْتَ صَلَاتِي،

وَمَاذَا اقْتَرَفْتُ؟!
وَيَا رَبُّ، يَا رَبُّ،
كَيْفَ أَنْكَسَرْتَ بِقَلْبِي
وَكُنْتَ اكْتَمَلْتُ؟!

- ٣ -

كَانَ الْحُزْنُ يَحْمِلُنِي إِلَى آخِرِ الْمَسَافَاتِ، وَالصَّمْتُ
الْقَاتِلُ يَأْوِي إِلَيَّ وَإِلَيْكَ، لِيَتَمَدَّدَ، مُطْمَئِنًّا، فِي فِرَاقِ
الْمَكَانِ.

كَانَ الْحُزْنُ يُثْمِرُ أَشْجَارًا وَغَابَاتٍ، وَالْوَحْدَةَ
الْقَاتِلَةَ تُحَاصِرُنَا، وَتَرْتَفِعُ حَوْلَنَا سَوْرًا عَاتِيًّا، لَا يَمُرُّ عَبْرَهُ
أُنْسٌ، وَلَا يَحْرِقُهُ عَزَاءٌ.

وَكُنَّا، أَنَا وَأَنْتِ، غَارِقَيْنِ فِي الصَّمْتِ، مُنْكَسِرَيْنِ،
مُصَدَّعِي الْقَلْبِ، يُوشِحُ كِيَانَنَا الْفُقْدَانُ، وَتَعْمُرُ نَفُوسُنَا
بِمَرَارَةِ الْفَاجِعَةِ.

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَنَا مُنْطَفِئًا، دَاكِنًا، لَا يُشْرِقُ
عَلَيْهِ إِلَّا شَمْسٌ سَوْدَاءٌ، وَلَا يَطْلُعُ نَسِيمٌ إِلَّا الْحُزْنُ
الْحَارِقُ.

ضَاعَ اللهُ عَن قَلْبَيْنَا، وَأَنْعَلَقْتُ نَوَافِدُ الصَّلَاةِ.
 صَارَتْ السَّمَاءُ ضَبَابًا بَعِيدًا، وَظِلًّا فَارِغًا،
 يَنْكَسِرُ تَحْتَ ثِقَلِ الْوَاقِعِ.
 وَكُنَّا، أَنَا وَأَنْتِ، تَائِهَيْنِ، مُنْكَسِرَيْنِ فِي غَابَاتِ
 الْأَسَى، مُحْتَجِبَيْنِ عَنِ امْتِدَادِ الْعَالَمِ، لَا حَوْلَ لَنَا، وَلَا
 أَمَلٍ فِي الْوُصُولِ إِلَى نُورٍ.

كُلُّ الْأَنْوَارِ صَارَتْ مُعْتَمَةً.
 كُلُّ الشَّمُوسِ الْمَشْرِقَةِ سَوْدَاءً، قَاتِمَةً.
 كُلُّ فَجْرٍ يَعْرِقُ فِي اللَّيْلِ، وَالْفِرَاعُ مُظْلِمٌ... حَتَّى
 الْاِخْتِنَاقِ.

إِنْكَسَرَ الْجِسْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ. لَمْ يَعُدْ ثَمَّةَ غَيْرِ
 خَيْطٍ خَفِيِّ تَمُدُّهُ اللَّمْحُ الْغَامِضَةُ، وَصَمْتُ تَقِيلٍ يَكْتَنِفُهُ
 الْفِرَاعُ وَالضِّيَاعُ.

ضَائِعَيْنِ كُنَّا، فِي صِرَاطِ الْحُزْنِ؛ وَحِيدَيْنِ، تَوَقَّفَتْ
 خُطَانَا مُنْذُ أَنْ أَنْفَجَرَ الْغِيَابُ، وَتَلَمَّ ذَاتَنَا الثَّالِثَةَ.

ضَائِعِينَ كُنَّا، مُنْكَفِئِينَ عَمَّا حَوْلَنَا، غَارِقِينَ فِي
 ذُهُولِ الْفَاجِعَةِ، نَتَلَمَّسُ وُجْهَةً، بِلا جَدْوَى، وَمَدْخَلًا
 إِلَى الْحَيَاةِ بِلا طَائِلٍ، وَأُفُقًا جَدِيدًا لِلرَّجَاءِ، وَلَكِنْ لَا
 رَجَاءَ!

ضَائِعِينَ كُنَّا، لَا يَدَ تُمُدُّ إِلَيْنَا، وَلَا صَوْتَ يَتَنَاهَى
 إِلَى مَسْمَعِنَا لِيَقُودَنَا إِلَى خَارِجِ حُجْرَةِ الْاِخْتِنَاقِ
 وَالْفَجِيعَةِ.

لَا شَيْءَ مِنْ حَوْلِنَا إِلَّا الصَّدى الْقَاسِي فِي فَرَاغِ
 الْوَحْدَةِ، وَقَبْضَةَ الْحُزْنِ تَخْنُقُ أَيَّامَنَا، وَتَتْرُكُهَا جُثَّةً هَامِدَةً،
 جَافَةً كَالْفَحْمِ.

نَحْنُ حَزِينَانِ ...

نَحْنُ حَزِينَانِ ... حَتَّى الْمَوْتِ!

٤ - الانكشاف



- ١ -

مِنْ قَرَارَةِ الظَّلَامِ، مِنْ قَلْبِ الحُزْنِ المَطْبِقِ، أَنْسَلَّ
إِلَيْنَا حَيْطٌ مِنَ الضُّوءِ، فَتَحَ لَنَا كُوَّةَ الأَمَلِ، كَأَنَّهُ نَازِلٌ
مِنْ فَوْقٍ.

كَانَتْ اللُّمَحُ الغَامِضَةُ تَأْخُذُ شَكْلًا فِينَا،
وَتَنْصَهَرُ فِي مَعْنَى نِهَائِيٍّ، مُفَاجِئٍ، أَرَادَهُ لَنَا "مَلَكَ
الانْتِظَارِ"...

بَدَأَ الغِيَابُ يَنْزَاحُ عَن مَعْنَى جَدِيدٍ، وَالحُزْنُ
الضَّاعِطُ يَنْكَسِرُ شَيْئًا فَشَيْئًا، لِيَتْرَكَ مَكَانَهُ لِرَجَاءٍ رَقِيقٍ،
يَلْتَقِطُ تِلْكَ اللُّمَحَ، لِيُعِيدَ تَرْكِيبَهَا فِي مَنْطِقٍ وَشُعُورٍ.

هَكَذَا بَدَأَ الْاِنْكِشَافُ يُزِيحُ ضَبَابَ الْمُبْهَمِ،
 لِيَكْسِرَ حُضُورَ الْأَسَى، وَيَرْسُمَ مَلَامِحَ عُمُرٍ جَدِيدٍ،
 خَارِجٍ بِقُوَّةٍ مِنْ دُرُوعِ الْأَلَمِ...
 يَنْحَلُّ "مَلَاكُ الْاِنْتِظَارِ" فِينَا، رَقِيقًا، أَلْيَفًا،
 لِيَرْفَعَنَا إِلَى مَا فَوْقَ جَلِيدِ الْوَاقِعِ، وَيَطِيرَ بِنَا إِلَى آفَاقٍ لَمْ
 نَكُنْ نَرَاهَا، شَاءَهَا أَنْ تَكُونَ بَابًا نَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى عُمُرٍ
 مِنَ النُّورِ.

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ غَرِيبًا، مُدْهِشًا، غَارِقًا فِي
 الدُّهُولِ، كَأَنَّ كُلَّ الدَّمُوعِ تَجَمَّعَتْ لِتَصِيرَ بُحَيْرَةً شَقَافَةً
 مِنَ الرَّجَاءِ.
 كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مُدْهِلًا، مُقَدَّرًا بِقُوَّةٍ فِي أَعْمَاقِنَا،
 مَرْسُومًا عَلَى جَبِينِ الْأَيَّامِ الْحُبْلَى بِالْمَفَاجَأَةِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ حَيْطٍ رَهِيْفٍ مِنْ
الْوَجْدِ، ذَابَ فِيهِ مَلَائِكُنَا الرَّاحِلُ.

كَانَ كُلُّ شَيْءٍ يَعْرِقُ فِي بَدَايَةِ لَا تُوصَفُ، عَلَى
أَعْقَابِ الْأَلْمِ الْمَتْرَاجِعِ.

كَانَ كُلُّ مَا حَوْلَنَا يَبْرِقُ كَالنُّجُومِ، وَذَاتِي وَذَاتِكَ
أَنْخَطَفْتَا إِلَى حَيْثُ يَتَجَمَّعُ الرَّجَاءُ الْمَفْقُودُ، وَيَنْكَشِفُ
العِشْقُ بِقُوَّةٍ فِي مَتَاهَاتِ الدُّنْيَا.

عَادَتْ إِلَيَّ الْحُرُوفُ، فَجَاءَهُ، لِتَخُطَّ قَصِيْدَةَ العُمُرِ
بِمِدَادِ أَنْكِشَافِنَا، فِي شِعْرِ التَّعْيِيرِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ دَاخِلِنَا.
انْفَتَحَتْ فِي قَلْبِي بِنَفْسَجَةِ الحُلْمِ، وَأَنْعَرَسَتْ فِي
تُرْبَةِ دَمِي، وَصَارَتْ عَيْنَاهَا عَيْنَيْكَ، وَأَوْرَاقُهَا جَسَدِكَ
الْمُرْتَعَشِ فِي فُجَاءَةِ الانْكَشَافِ.

لَا شَيْءَ سِوَاكَ يَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى
قَلْبِي، وَقَدْ مَهَّدَ لِهَذَا مَلَائِكُنَا الرَّاحِلُ، وَرَاقِبَ مَسَارَهُ يَوْمًا
بَعْدَ يَوْمٍ.

لا شَيْءَ سِوَاكَ يَخْتَصِرُ جَمِيعَ النِّسَاءِ، بَعْدُ، وَقَدْ
أَنْحَطَّقْنَ إِلَى نِظْرَةِ عَيْنَيْكَ، وَنِدَاءِ قَلْبِكَ الْمَفْتُوحِ.

- ٢ -

كَيْفَ شَرَّعْتَ أَبْوَابَ قَلْبِي،
وَعَيَّرْتَ مَا فِيهِ
مِنْ دِمْنٍ وَخَرَابٍ
لِيَعُودَ حَدِيقَةَ شِعْرِ
وَقَدْ صَارِ،
بَعْدَ رَحِيلِ "الملاك"،
فَرَاغًا يِيَابًا!
خَرَجْتَ مِنَ الحُلْمِ نَحْوِي
بِنَفْسِجَةٍ حَمَلْتَهَا لُمَعُ،
وَعَادَ الحَيَالُ
الَّذِي كَانَ فِيَّ أَنْقَطَعُ،

وَعَادَ إِلَيَّ شُبُوبُ الشَّبَابِ ...

وَأَنْتِ بِنَفْسِجَةِ الْقَلْبِ صُرْتِ،

كَأَنَّ الزَّمَانَ

سَقَى قَلْبِكَ اللَّازُورْدِيَّ بِالنُّورِ

فَأَنْدَاخَ مِنْكَ،

وَزَيْنَ قَلْبِ الْمَكَانِ.

خَرَجْتِ مِنَ الصَّلَوَاتِ إِلَيَّ

لِيُنْكَسِرَ الْحُزْنَ وَالْمَوْتُ،

بَيْضَاءَ مِثْلِ الْحَبَّةِ،

أَنْقَى مِنَ النُّورِ فِي لَمَسَاتِ الْحَنَانِ ...

وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ

أَنَّكَ كُنْتَ خَيَالًا بَهِيًّا،

وَلَا أَنَّ قَلْبِكَ يَسْكُنُ فِيَّ ...

وَلَا أَنْ عِشْقِكَ،
وَهُوَ أَرْقُ مِنْ الصَّلَوَاتِ،
سَيُشْرِقُ يَوْمًا عَلَيَّا!

- ٣ -

لا شَيْءَ غَيْرَ بَلَسَمِ عَيْنَيْكَ يَرْحَلُ الْآنَ فِي
 صَمْتِ الْقَلْبِ، وَيَتْرُكُ فِي كِيَانِي طَعْمًا رَقِيقًا يَرْوِي
 جِرَاحِي الْعَمِيقَةَ، وَيَمْسَحُ الْآلَامَ؛ وَلَا شَيْءَ سِوَى إِكْسِيرِ
 رُوحِي يُزِيلُ عَنْكَ شُقُوقَ الْجِرَاحِ، وَعَصَّةَ الْقَلْبِ الْمَرِيرَةِ.
 لا شَيْءَ سِوَانَا يُبَلِّسِمُ جِرَاحِنَا، وَيُعِيدُ إِلَى حَيَاتِنَا
 أَخْضِرَارَ الرَّبِيعِ، وَزُهُورَ الْمَفَاجِأَةِ، وَنُورَ الرَّجَاءِ.
 لا شَيْءَ سِوَانَا يَطِيرُ بِنَا إِلَى حُقُولِ الْأَحْلَامِ،
 نَقْطِفُ مِنْهَا بَيْلَسَانَ الْآتِي، وَوُرُودَ الْأَمَلِ وَالصَّفَاءِ.
 لا شَيْءَ سِوَانَا يُعِيدُ إِلَى قَلْبِنَا اللَّهَ الَّذِي غَابَ
 عَنَّا، وَيَرُدُّ إِلَى رُوحِنَا نَتْمَةَ الصَّلَاةِ، وَيَفْتَحُ، فِي كِيَانِنَا،
 مَرَّةً أُخْرَى، حُدُودَ السَّمَاءِ.

- ٤ -

وُلِدْتُ بِقَلْبِكَ
 حِينَ أَنْكَشَفْتَ لِقَلْبِي،
 وَأَيَّقَظْتَ فِيَّ حُدُودَ السَّمَاءِ.
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنَّكَ أَنْتَ رَجَائِي،
 وَكَانَ بِقَلْبِي يَضِيعُ الرَّجَاءُ...
 وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ
 أَنَّكَ أَنْتَ اكْتِمَالُ لِرُوحِي
 وَأَنِّي، إِذَا مَسَّ قَلْبِي، ضِيَاؤُكَ
 غَيَّرْتَ فِيَّ الْقَضَاءُ...
 وَعُمْرُكَ يَبْدَأُ مِنِّي...

وَعُمْرِي، بِعَيْنَيْكَ، أَنْتِ
 أَنْتِ سَامَةٌ حُبٌّ،
 وَكَوْنٌ أَشَدُّ صَفَاءً
 مِنْ الْفَرْحِ الْمَتَقَطَّرِ
 فِي غَمَمَاتِ الضِّيَاءِ.
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ
 أَنَّكَ أَنْتِ غَدَوْتِ نَشِيدُ حَيَاتِي
 وَصَوْتُ السَّمَاءِ عَلَى كَلِمَاتِي،
 وَأَنَّكَ أَنْتِ اكْتِمَالُ كِيَانِي
 وَذَوْبُ الْفَرَادَيْسِ فِي كُلِّ ذَاتِي...
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِكُ أَنَّ الْإِلَهَ
 يَطِيرُ بِرُوحِي إِلَى قَلْبِهِ
 عَبْرَ هَذَا السَّنَاءِ...
 وَأَنْتِ الَّتِي دُبْتِ فِي خَاطِرِي
 بِسَمَةِ مَنْ رَجَاءِ السَّمَاءِ

وَمِنْ مُنْتَهَى الْعِشْقِ حِينَ يُجْنُ الْأَسَى
وَيَفِيضُ الْمَسَاءُ...
فَكَيْفَ، إِذَا،

لَا تَكُونِينَ مِرَاةَ رُوحِي
وَأَنْتِ رَسَمْتِ بِهَا لَحْنَ رُوحِكِ،
ثُمَّ مَحَوْتِ بَعَيْنِيَّ
كُلَّ جَمَالٍ سِوَاكِ،
وَصِرْتِ مَلَائِكِي،
وَصَارَتْ بَعَيْنَيْكِ أَنْتِ،
بَعَيْنَيْكِ وَحَدَكِ أَنْتِ،
حُدُودُ جَمِيعِ النِّسَاءِ...؟

- ٥ -

كَانَ حُلُولُكَ فِي قَلْبِي صُورَةَ الْعُمْرِ الْجَدِيدِ؛ وَكَانَ
وُلُوجِي إِلَى فُؤَادِكَ أَنْفِتَاحَ عُمُرِكَ، لِلْمَرَّةِ الْأُولَى، عَلَى
حَدِيقَةِ الْعِشْقِ.

هَذَا هُوَ الزَّمَانُ الْجَدِيدُ، يَبْدَأُ مِنْ قَلْبِنَا، وَيَحْمِلُنَا
إِلَى بُحُورِ الْحُلْمِ فِي أَمْتِدَادِ الْآتِي، نَقْطِفُ الْأَمَلَ، وَنَحْمِلُ
السَّعَادَةَ إِلَى عُرُوقِ الْأَيَّامِ.

هَذَا هُوَ الزَّمَانُ الْجَدِيدُ:

قَلْبُنَا عُرْسُ الْبَدَايَةِ، وَكِيَانُنَا حَدَائِقُ الطَّرِيقِ تَرَسُّمُ
بَهْجَةِ الْحُضُورِ فِي خُطَى الْآتِي.

هَذَا هُوَ الزَّمَانُ الْجَدِيدُ:

نَحْمَلُ فِيهِ ذَاتَنَا، مَرَّةً أُخْرَى، إِلَى جَوْهَرِ الحُضُورِ،
وَنَصْنَعُ مِنَّا قُبْلَةً رَقِيقَةً عَلَى جَبِينِ البَقَاءِ.
هَذَا هُوَ الزَّمَانُ الجَدِيدُ:

يَصِيرُ الوَقْتُ طَائِرَ عِشْقٍ، يَحْمِلُ قَلْبَنَا إِلَى آخِرِ
الأَزْمَانِ.

يَصِيرُ المَكَانُ حَدِيقَةً شِعْرٍ، تُزِينُهَا الحُرُوفُ
وَالْقَصَائِدُ.

يَصِيرُ الفَضَاءُ صَلَاةً خَارِجَةً مِنْ مَدَارِ عِشْقِنَا إِلَى
المدى الأَرْحَبِ.

يَصِيرُ قَلْبُنَا فِرْدَوْسًا نَقْرَأُ فِي رِحَابِهِ أُكْدُوبَةَ المَوْتِ،
وَنِعْمَةَ الحَيَاةِ.

- ٦ -

خَرَجْتَ مِنَ النُّورِ نَحْوِي
 فَمَا عُدْتُ أُبْصِرُ شَيْئًا...
 وَلَوْنَتْ بِالنُّورِ هَذَا الظُّلَامَ
 الَّذِي حَاصَرَ الْأَرْضَ فِي مُقَلَّتِيَا،
 وَشَرَعْتَ بَابَ كِيَانِي
 لِيَدْخُلَ طَيْفُكَ مِثْلَ صَلَاةٍ
 رَمَتْهَا السَّمَاءُ إِلَيَّا...
 فَكَيْفَ تَوَحَّدْتَ فِيَّ يَا
 وَلَوْنْتَ فِي الْقَلْبِ
 مَا كَانَ حُلْمًا؟
 وَكَيْفَ خَرَجْتَ مِنَ الْحُلْمِ

ثُمَّ أَنْسَكَبْتِ مِنَ الصَّلَوَاتِ عَلَيَّ؟

وَعَيْنَاكِ قُدَّاسُ وَحْيٍ،

شَرَارَةٌ لَيْلٍ

تَصَفَّى بِلَوْنِ الْقَصِيدَةِ —

وَعَيْنَاكِ أَنْتِ الْقَصِيدَةُ

تُوشِّحُ أَحْرَفَ قَلْبِي بِلَوْنِهِمَا

فِيصِيرُ الظَّلَامُ

أَبْيَضًا

مِثْلَ ثَلْجِ الصَّلَاةِ الْمَدِيدَةِ

تَنْسُجُ الشُّعْرَ مِنْ خَفَقِ هَذَا الْفُؤَادِ.

وَيَغْدُو الْكَلَامُ

رِذَاذَ التَّرَاتِيلِ فِي قِمَّةِ الْوَجْدِ...

كَانَ الْقَمَرُ

يَسِيلُ بِفِضَّتِهِ
لِيُلَوِّنَ بِسَمَاتِكَ الْوَادِعَاتِ،
وَيَرْحَلُ فِي شَعْرِكَ الْمَتَهَدِّلِ
حَيْثُ يَنَامُ
وَيَنْسَى الْبَشَرَ...

خَرَجْتَ مِنَ النُّورِ نَحْوِي
فَمَا عَادَ شَيْءٌ جَلِيًّا...
وَلَوْ نَتَيْ بِوَدَاعَةِ قَلْبِكَ
حَتَّى صَدَعْتَ كِيَانِي
وَأَوْعَلَ دِفْءُ حَنَانِكَ قِيًّا
فَكَيْفَ تَسَلَّلْتَ فِي الْقَلْبِ
ثُمَّ أَنْسَكَبْتَ مِنَ الصَّلَوَاتِ عَلَيَّا؟

٥ - التردّد



- ١ -

أَلْقَى التَّرْدُدُ ظِلَّهُ فَوْقَ ذَاتِكَ لِيَجْرَحَ إِلْفَتَنَا، وَيَتْرَكَ فِي
ذَاتِكَ دَلَالَاتٍ فَجَّرَتْ فِيكَ المَرَاوِحَةَ، وَأَوْقَفَتْ سَيْلَ
البَهْجَةِ فِي خُطَانَا.

انكسر الهدوء في عاصفة الخوف، وانتشرت
أشباح الحيرة فيك لتصدع قلبي، وتعود به إلى مآسي
الانكسار.

وأمام ثبات رؤيائي، كانت رؤياك مشوشة،
متوترة، فليقة، تعي ولا تعي، وتغرق في بحار الظنون
القاتلة...

إِنْكَسَرَ الْهُدُوءُ فِي عَاصِفَةِ التَّرْدُدِ، وَاسْتَقَمَّ الْخَوْفُ
فِي أَعْمَاقِ ذَاتِكَ الْمُعْتَكِرَةِ، فَعَرَسَ فِي كِيَانِي بُدُورَ الْأَلَمِ
الْخَائِقِ، وَنَارَ الشَّكِّ فِي الْمَصِيرِ.

أَيُّكُونُ أَنْ تَقْطَعِي، بِتَرْدُدِكَ، حَبْلَ النُّورِ الَّذِي
يَرْتُبُنَا؟

أَيُّكُونُ أَنْ تَسْقُطَ ذَاتُكَ الْمُتَوَتِّرَةُ فِي آبَارِ الضِّيَاعِ،
وَيَأْخُذَكَ عَذَابُ الرُّؤْيَا الْمَشْوِشَةِ فِيكَ إِلَى حَيْثُ تَخْسِرِينَ
حَيْطَ الْأَمَلِ الْمَمْدُودِ، وَأَخْسِرُ بِهَذَا حَيَاتِي الْعَائِدَةَ؟
أَيُّكُونُ أَنْ يَنْتَصِرَ الضِّيَاعُ عَلَيَّ يَقِينِي الثَّابِتِ،
فَيَأْخُذَكَ إِلَى حُدُودِ الْإِنْكَسَارِ، وَيَنْتَصِرَ الْيَأْسُ عَلَيَّ
الرَّجَاءِ الْعَائِدِ؟

ضَبَابٌ ... ضَبَابٌ ... يَتَحَرَّكَ فِيهِ قَلْبُكَ الْهَشُّ،
وَيَدَايَ تُمْسِكَانِ بِكَ، خَشْيَةً أَنْ تَفْقَدَ قَدَمَاكَ مَعَالِمَ
الطَّرِيقِ، وَتَضِلَّ فِي مَتَاهَاتِ الْخَوْفِ.

ضَبَابٌ يَمْتَدُّ حَوْلَكَ، يُحَاصِرُ عَيْنَيْكَ، وَيُحِيطُ
كِيَانَكَ بِرَهْبَةٍ مِنْ شُعُورِكَ الْجَدِيدِ.
ضَبَابٌ ... ضَبَابٌ ...

وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ السُّقُوطِ سِوَى اللَّمَحِ الَّتِي
أَتَّضَحَتْ دَلَالَتُهَا، وَصَوْتِ "الْمَلَائِكِ" الرَّاحِلِ أَنْ: حَذَارِ،
وَيَدِي الْمَمْدُودَةَ إِلَيْكَ تَعْصِمُكَ مِنَ السُّقُوطِ ...

كُلُّ مَا حَوْلَكَ صَارَ غَائِمًا، وَرُؤْيَاكَ مُبَعَثَرَةً بَيْنَ
وَأَقْعِ جَدِيدٍ يَشُدُّكَ إِلَى غِبْطَتِهِ، وَمَاضٍ قَاتِلٍ، طَوِيلٍ،
يَتَنَائَرُ فِي ضَمِيرِكَ، وَيَتَرُكُ فِيهِ أَشْوَاكَ التَّوَجُّسِ، وَظِلَالِ
الْخَوْفِ الْمَطْبِقَةِ.

تَشَوَّشَ كُلُّ شَيْءٍ.

اِخْتَلَطَ الْمَاضِي بِالْحَاضِرِ.

سَقَطَ الْهُدُوءُ.

أَنْفَتَحَ الْأَعْتِرَابُ فِي صَحْرَاءِ التَّيِّهِ.

تَضَعُضَعُ فِيكَ الرَّجَاءُ... .

لَمْ يَعْذُ فِي ذَاتِي الْقَلِقَةَ سِوَى الْأَلَمِ الْمُضْنِي الَّذِي

يَعْتَصِرُهَا، وَالْحَشِيَّةِ الْفَتَّاكَةِ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى الْمَجْهُولِ،

وَعَزَمِي الثَّابِتِ الَّذِي لَا يَتْرُكُكَ... .

لَمْ يَعْذُ فِي ذَاتِي الْقَلِقَةَ سِوَى جِرَاحِ عَمِيقَةٍ، أَلَمْ

مِنْ الْمَوْتِ، فَتَحَهَا فِيَّ تَشْوِشُكَ، وَعَزَمِ لَا يَنْشِي عَلَيَّ

مُتَابَعَةَ الطَّرِيقِ نَحْوَ النُّورِ.

- ٢ -

قَلِقٌ يُعْرِقُ الذَّاتَ عَبْرَ مَتَاهَاتِهِ،
 وَيُوسِّعُ آلامَهَا الخَانِقَاتِ،
 وَالتَّرْدُّدُ يَسْحَبُ نَحْوَهُ
 خَطْوَاتِكِ الخَائِفَاتِ...
 غَيْرَ أَنَّ فُؤَادَكَ
 مَا زِلْتُ أَنْبِضُ فِيهِ قَوِيًّا،
 وَمَا زِلْتُ أَدْفَعُهُ
 خَارِجَ العَتَمَةِ القَائِمَةِ.
 كُلُّ شَيْءٍ هُنَا غَائِمٌ،
 وَالْأَمَانِي تُفْتَسُّ

عَنْ يَفْظَةِ هَائِمَةٍ...
 قَلْبُ يَنْفَتِّحُ فِيكَ
 لِيُخْفِيَ تَحْتَ غِلَالَتِهِ
 نَبْضَاتِ الضِّيَاءِ،
 بَيْنَ جَهْدِ خُطَانَا
 وَهَذَا الْقَضَاءِ...

كُلُّ شَيْءٍ تَسَاءَلَ
 فِي النَّظْرَةِ الْوَاجِمَةِ
 عَنْ بَرِيقِ عِنَاقَاتِنَا
 وَصَلَاةِ تَوْحُّدِنَا
 تَحْتَ عَيْنِ السَّمَاءِ...

قَلَقٌ يَتَكَوَّمُ...
ثُمَّ يَغِيبُ أَمَامَ حُطَانَا،
وَيَحْرِقُهُ هَاتِفٌ
خَارِجٌ مِنْ صَهِيلِ الْبَقَاءِ.

- ٣ -

عَادَتْ إِلَى عَيْنَيْكَ مَرَارَاتُ الْمَاضِي، وَحَاصِرَتْ
فَرَحَكَ الْمَنْهَلَ عَلَيَّكَ مِنْ قَلْبِي، لَتَرَسَمَ التَّوْتُورُ عَلَى
صَفْحَاتِ حَيَاتِكَ، وَتُحْرَكُ فِيكَ الْمَرَاوِحَةُ، فَأَسْقَطَ الرَّغْبَةَ
الْبَيْضَاءَ الْقَوِيَّةَ، وَمَرَارَةَ الْحَسْرَانِ.

عَادَتْ مَرَارَاتُ الْمَاضِي تَشُدُّكَ إِلَى عَذَابَاتِهَا
الْقَاتِلَةِ، وَتَسْحَبُ مِنْكَ ذُهُولَ الْفَرَحِ...

وَمَا كَانَ الْعِشْقُ أَلْيَفًا لَكَ يَوْمًا، لَكِنَّهُ رَفَعَكَ
عَلَى جَانِحِهِ، وَطَارَ بِكَ إِلَى سَمَاءِ قَلْبِي، فَشَوَّشَتْ طَبِيعَةُ
الصَّفَاءِ ذَاتَكَ الْمَضْطَّرِبَةَ، وَأَرْهَقَ يَقِينِي الصَّلْبُ يَقِينِكَ
الْمُتَرَدِّدَ، بَعْدَ أَنْ أَصْطَدَمْتَ بِهِ مَا عَرَفْتَهُ ذَاتَكَ مِنْ

حَوَاجِرَ تَأَقَّتْ إِلَى أَخْتِرَاقِهَا، لِتَنْطَلِقَ نَحْوَ فِضَاءِ
الانْعِتَاقِ.

أَيُّكُونُ، بَعْدُ، أَنْ تَخْرُجِي مِنْ قَلَقِكَ الْخَانِقِ نَحْوِ
عَالَمِ جَدِيدٍ، لَا عَكْرَ فِيهِ، وَلَا خَشْيَةَ مِنْ عَذَابٍ؟
أَيُّكُونُ، بَعْدُ، أَنْ يَبْدَأَ فَجْرٌ جَدِيدٌ، خَارِجٌ مِنْ
ظَلَامِ الْمَاضِي، حَيْثُ لَا يَبْرُقُ فِي سَمَائِهِ غَيْرُ نُجُومِ
العِشْقِ، وَأُغْنِيَاتِ الْإِنْخِطَافِ؟

أَيُّكُونُ أَنْ نَبْدَأَ، مَعًا، طَرِيقَ الدُّخُولِ إِلَى بَرَارِي
السَّعَادَةِ، حَيْثُ لَا ظَلَامَ، وَلَا أَشْوَاكَ تُدْمِي قَدَمَيْكَ
الرَّقِيقَتَيْنِ؟

- ٤ -

كُلَّمَا ضَاعَ وَجْهُكَ
 خَلْفَ ضَبَابِ الْقَلْقُ
 ضَاعَ قَلْبِي،
 وَبَعَثَنِي الصَّمْتُ
 بَيْنَ غُيُومِ الْأَرْقِ،
 وَمَا عُدْتُ أَعْرِفُ كَيْفَ أُصَلِّي،
 وَلَا عُدْتُ أَعْرِفُ
 وَجْهَ الصَّبَاحِ الْمَطْلِّ،
 لِأَنِّي، بِغَيْرِكَ، أَخْسَرُ وَجْهِي،
 وَأَخْسَرُ قَلْبِي،
 وَأَنْسَى، وَقَدْ صِرْتُ ظِلًّا،

حُدُودَ الْأَلْقِ...

وَحِينَ تُطَلِّينَ مِنْ خَلْفِ يَأْسِي

تُعُودُ إِلَيَّ النَّجُومُ،

وَأَرْفُو جِرَاحَ فُؤَادِي

بِنَظَرَتِكَ الْوَادِعَةَ،

وَيَرْفَعُنِي اللَّهُ،

يُبْعِدُ عَنِّي لَهَيْبَ الْجَحِيمِ

لِأَسْكُنَ، بَعْدَ احْتِرَاقِي،

بَسْمَتِكَ الرَّائِعَةَ...

تُطَلِّينَ مِثْلَ مَلَائِكٍ يَجِيءُ إِلَيَّ

وَكَانَ تَحْوَلَ عَنِّي

فَعَرَّشَ ظِلُّ الْأَسَى

فِي كِيَانِي وَظَنِّي...

تُطَلِّينَ أَنْتِ مِنَ الصَّلَوَاتِ
كَنُورٍ...

أَرْقَ مِنَ الشَّعْرِ وَهُوَ يُصَلِّي،
يُلَامِسُ قَلْبِي لِأَنِّي انْكَسَرْتُ،
وَيَمْسُحُ رُوحِي بِزَيْتِ الْمَحَبَّةِ

وَهُوَ يُعَنِّي،

وَيَعْرِفُ أَنِّي

أَمُوتُ إِذَا غَابَ...

يَعْرِفُ أَنِّي

أُضِيغُ الصَّلَاةَ،

وَأَنْسَى الْحَيَاةَ،

وَأَفْقُدُ فِي حُدُودِ السَّمَاءِ

وَلَا شَيْءَ فِيهِ

سِوَى الْحُبِّ،

لَا شَيْءَ يُشْرِقُ مِنْهُ

سِوَى بَسْمَاتِ الضِّيَاءِ...
تَعُودِينَ أَنْتِ
وَيَبْعُثُكَ اللهُ مِنْ صَلَوَاتِي،
وَيَخْشَى عَلَيَّ، كَمِثْلِكَ أَنْتِ،
يَخَافُ عَلَيَّ
لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّكَ صِرْتِ حَيَاتِي،
جَمِيعَ حَيَاتِي...

- ٥ -

إِشْتَعَلَ فِي قَلْبِكَ الدَّنْبُ، وَلَا ذَنْبَ لَكَ إِلَّا أَنَّكَ
 أَشَدُّ صَفَاءً مِنَ الضِّيَاءِ، وَأَرْقُ إِحْسَاسًا مِنَ الْأَطْفَالِ،
 وَأَحْلَى مِنْ عُذُوبَةِ الْوُرُودِ... وَكَانَ ضَعْفُكَ الرَّقِيقُ يَحْمِلُ
 إِلَيْكَ التَّرْدُدَ، وَأَنْتِ لَا تَزَالِينَ هَشَّةً، تَبْحَثِينَ عَنْ مَوْطِئٍ
 ثَابِتٍ لِقَدَمَيْكَ فِي وُحُولِ واقِعِكَ المَائِعِ. وَكَانَ قَلْبِي
 يَنْصَدِعُ كُلَّ يَوْمٍ، فَوْقَ حُطَامِهِ، لِأَنَّهُ يَرَى مَلَائِكَةَ الْجَدِيدِ
 يَتَخَبَّطُ فِيهِ بَيْنَ أَمْوَاجِ القَلْقِ، وَمَرَارَاتِ التَّرْدُدِ.
 كَانَ مَاضِيكَ الَّذِي يُحَاصِرُكَ لَا يَزَالُ قَوِيًّا،
 يَتَحَلَّقُ حَوْلَكَ، وَيُحَاصِرُ ذَاتَكَ الَّتِي انْعَطَفَتْ نَحْوَ ذَاتِي،
 فِي صِرَاعٍ رَهيبٍ، لَا يَهْدَأُ.

كُلَّمَا تَقَدَّمْتِ نَحْوِي خَطْوَةً، أَرْجَعُكَ التَّرَدُّدُ
خَطَوَاتٍ فِي أَنْفِجَارِ الضِّيَاعِ!

كُلَّمَا نَهَضْتِ مِنْ كَبُوتِكَ الْخَانِقَةِ، أَشْتَعَلَ فِيكَ
الاضْطِرَابُ، فَأَسْقَطُكَ، مُجَدِّدًا، فِي عَثَرَاتِ الْمَاضِي...
وَلَا ذَنْبَ فِيكَ سِوَى بَيَاضِ قَلْبِكَ، وَصِدْقِ الشَّقَافِ
الَّذِي يُحَاصِرُهُ الْخَوْفُ وَالْإِغْتِيَابُ.

يَدِكَ، فَتَنْهَضُ مَعًا، وَنَكْسِرَ حُدُودَ الْقَلْقِ.

يَدِكَ، فَتَخْرُجُ مِنْ أَسْرِ الْمَاضِي، وَتَنْطَلِقُ إِلَى
مَدَارِ النُّورِ.

يَدِكَ، فَأَمْسَحَ عَنْكَ غُبَارَ الْحَشِيَّةِ، وَأُخْرِجَكَ مِنْ
مَتَاهَاتِ التَّرَدُّدِ، وَأَصْنَعُ لَكَ، مِنْ قَلْبِي، حُصْنًا مَنِيعًا،
تَلْجِئِينَ إِلَيْهِ، أَقْوَى مِنْ عَوَاصِفِ الْخَارِجِ.

يَدِكَ... آه، يَدِكَ، فَتَبْنِي، مَعًا، مَدَارَ الْآتِي،
وَنَعْبِرُ نَحْوَ مِعْرَاجِ الْفِرْدَوْسِ الْمَفْقُودِ.

وَهَاكَ كِيَانِي يَعْسِلُ لَكَ قَلْبَكَ بِالذَّفَاءِ، وَيُبْتِئُ
فِيكَ حَرَارَةَ الْأُنْحَطَافِ.

هَاكَ كِيَانِي، كُؤَلَّ كِيَانِي، يَصْنَعُ لَكَ مِنْ رَوْعَةِ
العِشْقِ مِعْطَفَ نَوْرٍ، فَتَعْبُرِينَ مِنْ تَرَدُّدِكَ المَهِيْبِ إِلَى
صَلَابَةِ القَرَارِ المَخْلُصِ.

هَاكَ كِيَانِي يَطْرُقُ بِكَ إِلَى فَرْحِ اليَقِينِ، حَيْثُ لَا
ظَلَامَ أَضْطِرَابٍ، وَلَا شَوْكَ مُرَاوِحَةٍ...
فَاهِ... آهِ، أَهْدَاي!

- ٦ -

أُحِبُّكَ ...

حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ

تَرَسُّمٌ كَمُّكَ فِي الْقَلْبِ

جُرْحًا يَنْزُ ... وَلَيْسَ يَطِيبُ ...

أُحِبُّكَ ...

حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ

تَسْتَحْرِينَ بَحْبِي

لَتَرْجَعِ ذَاتُكَ ذَاتًا،

وَتَرْجَعِ أُنْثَاكَ أَنْتِي طَرُوبٌ.

أُحِبُّكَ ...

حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ فِيكَ أَذُوبُ ...

وَأَرْكَعُ فِي قَلْبِكَ الْبِكْرَ،
 أَرْكَعُ مِنْ فَرْحٍ وَصَلَاةٍ
 نُحَلِّقُ فِيهَا مَعًا،
 وَأُقْبِلُ كَفِّكَ وَهِيَ تُجَرِّحُ قَلْبِي،
 وَأُدْرِكُ أَنِّي...
 قَتِيلٌ يَتُوبُ!

أُحِبُّكَ...
 حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ أُصَلِّبُ فِيكَ
 لِأَنَّكَ أَنْتِ الصَّلِيبُ،
 وَأَعْرِفُ أَنِّي بِيَسْمَةِ رُوحِكَ
 يَوْمًا أَطِيبُ...
 وَأَعْرِفُ أَنَّكَ، وَحَدَّكَ،
 قُوَّةٌ لِقَلْبِي

وَدَفَّءُ جِسْمِي،

وَأَنَّكَ ذُبْتَ

بروحي وَقَلْبِي وَحَمِي...

وَأَعْرِفُ أَنْ قَدْ تَأَلَّمْتَ

فِي خَوْفِكَ الْمُسْتَمِرِّ،

وَأَنِّي بِجُزْنِكَ أَكْشِفُ سِرِّي،

وَأَمْضِي إِلَيْكَ...

وَلَا شَيْءَ، بَعْدُ، يَسُدُّ الطَّرِيقَ...

فَكُلُّ الْأَمَانِي بِدُونِكَ وَهَمٌّ،

وَكُلُّ النَّسَاءِ سَرَابٌ،

وَكُلُّ زَمَانِي أَسَى وَحَرِيقٌ...

أُحِبُّكَ...

حَتَّى وَلَوْ كُنْتُ أُسْحَقُ

فِي عَجَلَاتِ أَنْتِظَارِي،
 لِأَنَّي بِعَيْنَيْكَ أُبْصِرُ نَوْرَ نَهَارِي...
 وَلَا ذَنْبَ فِيكَ
 سِوَى رِقَّةِ الْقَلْبِ
 تَرَأْبُ فِيَّ أَنْكِسَارِي...
 وَذَنْبُكَ أَنَّكَ تَحْتَرِقِينَ لِغَيْرِكَ،
 أَنَّكَ أَحْلَى مِنَ الضَّوْءِ،
 أَنْقَى مِنَ النُّورِ وَهُوَ يَحُوكُ الصَّلَاةَ...
 وَذَنْبُكَ أَنَّكَ أَنْتِ حَيَاةُ
 وَأَلْوَنُ مِلَائِكَةِ الْعِشْقِ
 تَبَعْتُ مِنْ طَبَقَاتِ الظَّلَامِ
 سَنَا الْكَلِمَاتِ...
 وَذَنْبُكَ أَنَّكَ أَنْتِ مَلَائِكَةُ
 وَلَيْسَ سِوَاكَ مَلَائِكَةُ هُنَاكَ...
 وَذَنْبُكَ أَنَّكَ آمَنْتِ بِالْحُبِّ،

ذَنْبُكَ أَنْكَ كُنْتَ أَرْقَّ مِنَ الْحُبِّ
وَهُوَ يُصَوِّرُ فِينَا حُدُودَ السَّمَاءِ،
وَأَنَّكَ تَرَسِّمُ رُوحَكَ فِيَّ
حُبُورَ الْعَطَاءِ،
وَذَنْبُكَ أَنْكَ فَجَّرْتَ
فِي قَلْبِي الْمَتَشَطِّبِ
رَجَاءَ الْبِقَاءِ،
وَأَنَّكَ قَدْ صِرْتَ،
فَوْقَ انْكِسَارِ فُؤَادِي،
رَيْنَ الْحَيَاةِ...
وَكُلَّ النِّسَاءِ...

٦ - القرار



- ١ -

انْحَسَرْتُ، فَجَاءَهُ، سُحْبُ الْقَلْقِ، وَأَنْكَسَرَ التَّرْدُّدُ،
 وَسَقَطَتْ أَسْوَازُ الاضْطِرَابِ، وَأَنْكَفَأَتْ صُورُ الْمَاضِي
 الْمَقْيَدَةِ، فَتَحَرَّرَتْ ذَاتُكَ مِنْ الْحَشِيَّةِ، وَقَبِضَتْ عَلَى
 الْيَقِينِ، فَحَرَّرَتْ ذَاتِي مِنْ ظَلَامَاتِهَا، وَرَفَعَتْ عَنْهَا
 ضُرُوبَ الْعَذَابِ.

إِنَّهُ أَوَانُ الْقَرَارِ!

انْكَشَفَتْ مَدَاخِلُ الضُّوءِ عَلَى قَلْبِكَ الْمُفْتُوحِ،
 وَقَادَ أَنْكَشَافُكَ خُطَاكَ إِلَيَّ، فَوَجَّتِ أَبْوَابَ كِيَانِي،
 وَحَلَّقَتْ فِي فُضَاءَاتِ قَلْبِي، تَكْتَبِينَ بِمِدَادِ عِشْقِكَ عُمْرَنَا
 الْجَدِيدَ، فِي قِرَانِ الْوَعْدِ وَالسَّعَادَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ ...

وَالْحُطَى صَارَتْ ثَابِتَةً عَلَى صِرَاطِ الْآتِي، تَعْبُرُ
مِنْ ظِلَامِ الْغَابِرِ، نَحْوَ أَنْوَارِ الْآتِي الْمَشْرِقَةِ.

كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ ...

أَزْهَرَتْ الثَّوَانِي.

أَمْتَلَأَ بِالْحُبُورِ فِضَاءُ الْمَكَانِ.

شَعَّتِ الْعِبْطَةُ لِتَرْفَعَ عَنْ قَلْبِنَا عَتَمَاتِ

الِاعْتِرَابِ.

أَزْهَرَ فِينَا الْقَرَارُ.

كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ ...

صَارَتْ الْأَشْيَاءُ أَوْضَحَ فِي الْقَلْبِ وَالْعَيْنَيْنِ.

صَارَ النُّورُ أَصْفَى.

صَارَتْ الْحِكَايَةُ شُقَّافَةً، أَجْمَلَ مِنْ كُلِّ

النِّهَايَاتِ ...

كُلُّ شَيْءٍ تَغَيَّرَ ...

عَادَتِ الصَّلَاةُ صَلَاةً.

عَادَتْ حُدُودُ السَّمَاءِ لِتُنْفَتِحَ فِي الذَّاتِ.

عَادَ اللهُ، مَرَّةً أُخْرَى،

لِيَسْكُنَ فِي قَلْبِي.

- ٢ -

عَادَ قَلْبُكَ مُنْكَشِفًا
 بَعْدَ أَنْ تَاهَ فِي الْقَلْقِ الْمَتَفْتِحِ .
 صَارَ الزَّمَانُ
 صَفْحَةً مِنْ بَهَاءِ لَطِيفِ
 يُعْطِي مَدَانًا ...
 وَأَوْعَلَ قَلْبُكَ
 فِي دِفِّ قَلْبِي
 تُدَثِّرُهُ هَدَاهُ وَأَمَانُ
 لِيَمْسَحَ عَنْهُ مَرَارَتَهُ حَيْثُ كَانَا ...

كُلُّ مَا حَوَّلْنَا
 مُشْبَعٌ بِالضِّيَاءِ،
 وَلَيْسَ سِوَانَا
 يَهِيْمُ بِرَوْعَةِ هَذَا الْمَكَانِ...
 كُلُّ مَا فِيكَ يَسْكُنُنِي وَأَسَاكِنُهُ.
 صِرْتِ أَنْتِ عَرُوسَ الْكِيَانِ
 وَعَيْنَاكِ رَايَةَ قَلْبِي،
 وَبَسْمَةُ رُوحِكِ تَحْتَلُّ رُوحِي
 فَأَنْسَى وُجُودِي،
 وَأَنْسَى بِهَا مَا عَرَانَا...

كُلُّ مَا حَوَّلْنَا يَتَقَاطَعُ فِيْنَا،
 كُلُّ مَا حَوَّلْنَا
 غَارِقٌ فِي سَنَاْنَا...

- ٣ -

سَقَطَ القَلْقُ عِنْدَمَا انْفَتَحَ كِيَانُكَ عَلَى النُّورِ.
صَارَ النُّورُ مِيرَاثًا، وَالحُبُورُ المَمْتَدُّ قَدْرًا أَقْوَى مِنْ
سُلْطَةِ المَظِي المَشَوِّهِ.

سَقَطَ القَلْقُ فِي رَوْعَةِ الحَاضِرِ، فَاحْمَى التَّرْدُّدُ،
وَأَنهَارَتْ أَبْرَاجُ الاضْطِرَابِ، وَحَمَلَ الخَوْفُ خَطَوَاتِهِ إِلَى
حَيْثُ لَا يَعُودُ...

وَكُنْتِ أَنْتِ، كُلَّمَا أَوْعَلْتِ فِي النُّورِ، أَنْكَشَفْتِ
أَكْثَرَ، وَرَفَعْتِنِي إِلَى أعْمَاقِ قَلْبِكَ المَفْتُوحِ.

كُنْتِ كُلَّمَا أَوْعَلْتِ فِي النُّورِ، تَحَلَّلَ الوَاقِعُ مِنْ
حَوْلِكَ، وَسَقَطَتْ عَنْهُ أَفْنَعْتُهُ المَهِيَّةُ، لِيَصِيرَ أَلْيَفًا

كَالْأَطْفَالِ، رَقِيقًا كَرْدَاذِ الْمَطَرِ، مُتَأَلِّقًا كَقَوْسِ قُرْحٍ يَحْمِلُ
عَلَى ظَهْرِهِ أَنَاشِيدَ الْفِرْدَوْسِ.

لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا فَاصِلٌ، أَوْ حَدٌّ، أَوْ خَشْيَةٌ.

لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا هَاجِسٌ، أَوْ هَاتِفٌ، أَوْ فِرَاحٌ.

لَمْ يَعُدْ بَيْنَنَا سَوَانَا...

وَنَحْنُ الْآنَ كِتَابُ الْعِشْقِ الْمَفْتُوحِ عَلَى آتٍ لَا
حُدُودَ لَهُ.

نَحْنُ أَنْشُودَةُ الْفِرْدَوْسِ الْمُسْتَعَادِ، تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ
إِلَى أَبِيضَاضِ اللَّانِهَائِيَّةِ، وَيُبَارِكُهَا "مَلَائِكُ الْإِنْتِظَارِ"، مِنْ
فَوْقٍ، بِالرَّجَاءِ وَالرِّضَى...

نَحْنُ قَصِيدَةُ الْأَبَدِ، تَحْتَصِرُ عُمَرَ الْعَاشِقِينَ فِي
أَبْتِسَامَةِ قَلْبٍ، مَكْتُوبَةٌ بِمِدَادِ الْمَعَانَاةِ الرَّائِعَةِ، وَحُرُوفِ
النُّورِ الَّتِي تَنْدَلِعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْقَلْبِ...

نَحْنُ آخِرُ أَغَانِي السَّمَاءِ، تَسْقِي عَطَشَ الْأَرْضِ
إِلَى الصَّفَاءِ، وَتَتَعَلَّعُ فِي حَاصِرَةِ النُّورِ، مَحْبُوكَةً بِرِضَى
اللانهاية، مُلْتَمَّةً عَلَى أَثِيرِ الكَوْنِ الْأَعْلَى.

نَحْنُ رُوحُ الشُّعْرِ، فِي تَجَلِّي الْبَيَاضِ النُّورَانِيِّ دَافِقًا
مِنْ آخِرِ الدُّنْيَا، يَسْكُبُ فِي الدَّاتِ نَفْحَةَ الْأُلُوهَةِ،
وَيَمْسُحُ حَيَاتَنَا بِرِزْتِ الْقَدِيسِينَ...

نَحْنُ خُلَاصَةُ اللَّحْنِ حِينَ يَنْسَرِبُ مِنْ حَنَاجِرِ
السَّمَاءِ إِلَى آنِيَةِ الْقُلُوبِ، فَتَمْتَلِئُ بِالرِّضَى، وَتَرْتَاحُ فِي
مَسَافَاتِ الرَّجَاءِ.

كُلُّ مَا حَوَّلْنَا يَتَكَامَلُ بِنَا.

كُلُّ مَا حَوَّلْنَا يَحْمِلُ مَعْنَاهُ مِنَّا.

كُلُّ مَا حَوْلَنَا يَتَلَوَّنُ بِدَاتِنَا، وَيَصِيرُ حُرُوفًا فِي
قَصِيدَتِنَا الْجَدِيدَةِ، صُورُهُ مِنْ تَفْتُّحِ عِشْقِنَا، وَإِيقَاعُهُ مِنْ
نَبْضَاتِ قُلُوبِنَا.

كُلُّ مَا حَوْلَنَا يَتَعَمَّدُ بِالنُّورِ، وَيَفْتَحُ لِأَقْدَامِنَا
رَوْعَةَ الْآتِي... ..

- ٤ -

أَذُوبُ بِعَيْنَيْكَ
 مِثْلَ رَذَاذِ الْمَطَرِ،
 وَأَغْرُلُ رُوحِي عَلَى قَلْبِكَ الْمُتَوَحِّدِ،
 أَنْسَلُّ فِيهِ كَنُورَ السَّحَرِ،
 وَأَنْسَى بِنُورِكَ عُمْرِي،
 وَأَنْسَى وُجُودِي،
 وَأَنْسَى جَمِيعَ اللَّبَشْرِ...

يَذُوبُ عَلَى شَعْرِكَ اللَّيْلِ
 وَهُوَ خَشُوعٌ،

وَبَمَسْحِهِ بِالصَّلَاةِ،
 وَتَرَحُّلِ كَفِّي بِخُصَلَاتِهِ،
 تَقْرَأُ الشُّعْرَ مِنْكَ،
 لِتَنْبُضَ فِيَّ الْحَيَاةَ...
 وَأَنْتِ التَّرَاتِيلُ
 تَنْزِلُ فِيَّ مِنَ الْمَلَكُوتِ،
 وَتَسْحُبُنِي...
 لِأَذُوبَ رَقِيقًا عَلَى الْكَلِمَاتِ...
 وَأَنْتِ حُضُورُ الْإِلَهِ بِقَلْبِي،
 حُضُورُ الْإِلَهِ الَّذِي ضَاعَ مِنِّي
 يُشْرِعُ رُوحِي بِنُورِ فُؤَادِكِ،
 يَرْسُمُ وَجْهَ السَّمَاءِ
 بَعْمَقِ كِيَانِي
 لِأَنْسَى الْحُضُورَ بِعَيْنَيْكَ،
 أَنْسَى وُجُودِي،

وَأَنْسَى زَمَانِي...
فَكَيْفَ، إِذَا،
لَا أَكُونُ أُصَلِّي
مَتَى أَنْتَشَرَ الْقَلْبُ بَيْنَ يَدَيْكَ
وَأَخْصَبَ فِي حُقُولِ الرَّجَاءِ؟
وَكَيْفَ أَضِيْعُ، بَعْدُ، إِلَهِي
وَأَنْتِ رَسَمْتِ بَضْوَةَ كِيَانِكَ فِيَّ
حُدُودَ السَّمَاءِ؟

٧ - الآتي



لِنَفْسِجَةِ الحُلْمِ فِي القَلْبِ
أُعْنِيَّةٌ مِنْ شَدًّا وَضِيَاءٍ...
لِنَفْسِجَةِ الحُلْمِ لَوْنُ الرَّجَاءِ...

صَارَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
هَذَا العَبِيرُ الَّذِي لَوْنُ الأَرْضِ بِالمُسْتَحِيلِ،

وَأَشْعَلَ فِيهَا الْبَهَاءَ.
 صَارَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 مَا يَجْعَلُ الْقَلْبَ أُغْرُودَةً
 مِنْ جُنُونِ الدُّهُولِ،
 وَيَجْمَعُ حَوْلِي
 خُيُوطَ الطَّرِيقِ الَّتِي أَرْتَسَمَتْ
 فِي فُؤَادِي إِلَيْكَ،
 وَفِي عَشْقِكَ الْبِكْرِ
 وَهَوَ يَصُوغُ لِقَلْبِي وَقَلْبِكَ
 بَابَ السَّمَاءِ...
 كُلُّ مَا فِيكَ يَنْبِضُ بِي.
 وَلَنَا رِحْلَةٌ كَالْحَيَالِ
 إِلَى النُّورِ
 يَجْمَعُ فِيهَا زُهُورَ التَّحْوُلِ،
 نَكْتُبُهَا

لِتَظَلَّ بِلَوْنِ الْحَنِينِ
 تَغْسِلُ الْقَلْبَ فِي زَهْوٍ أَحْرَفُهَا
 نَبَضَاتُ السِّنِينَ...
 صَارَ كُلُّ الزَّمَانِ
 تُلَخِّصُهُ نَظْرَةٌ مِنْكَ،
 تَعْرِلُهُ فِي الثَّوَانِي
 أَرَقَّ مِنَ الضَّوْءِ،
 أَصْفَى مِنَ الشَّعْرِ
 فِي لَمَحَاتِ الْأَنْبِيءِ.
 صِرْتَ أَنْتِ كِيَانِي...
 تَفْتَحُ فِيهِ بِنَفْسِجَةٍ
 عَرَدَ النُّورُ فِيهَا،
 وَحَلَّتْ بِقَلْبِي
 وَقَدْ هَجَرْتَ تُرْبَةَ الْحُلْمِ —
 صَارَتْ هِيَ الْحُلْمِ فِي نُزْهَةِ الْوَقْتِ

تَغْسِلُنِي بِالْحَنَانِ .
كُلُّ شَيْءٍ تَجَلَّى لَنَا:
صَارَتْ الْأَرْضُ أَنْشُودَةً
لِلزَّمانِ الجَدِيدِ،
وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ لَا شَيْءَ
غَيْرَ التَّجَلِّي
يُعْطِرُهُ العِشْقُ
عَبْرَ أَمْتِدَادِ التَّمَلِّي،
وَيَفْتَحُ فِينَا
أَرِيحَ الصِّفَاءِ المَدِيدِ...

لِنَفْسِجَةِ القَلْبِ فِي الحُلْمِ
بَوْحُ
يُرِصُّهُ كُلُّ هَذَا الصِّفَاءِ،

وَلِلْوَقْتِ، مِنْ بَعْدُ،
 طَعْمٌ غَرِيبٌ،
 وَلي فِي عُيُونِ الْقَضَاءِ
 عَرَبَاتٌ مِنَ النُّورِ
 نَرَحَلُ فِيهَا مَعًا نَحْوَ فِرْدَوْسِنَا الْمُسْتَعَادِ.
 كُلُّ شَيْءٍ يُعْنِي لَنَا:
 فَالْصَّفَاءُ سَرِيرٌ،
 وَدَفْءُ الصَّلَاةِ وَسَادٌ...

أَيُّهَا الْعِشْقُ، كُنْ مَنَّمَاتِ الْأَمَانِي،
 كُنْ صَفَاءَ الْقَصِيدَةِ
 فِي سَيْلَانِ الْمِدَادِ.

لِيَنْفَسَجَةَ الْحُلْمُ أُغْنِيَةً

مِنْ شَدًّا وَضِيَاءٍ.

لِيَنْفَسَجَةَ الْحُلْمَ لَوْنُ الرَّجَاءِ.

(١٠ - ١٥ آب ٢٠١٧)

فهرس المحتويات

ص ١	باب النور
ص ٥١	كتاب الرجاء
ص ٥٣	١ - بداية الحكاية
ص ٦١	٢ - فصل الانكشاف
ص ٧١	٣ - فصل الخروج إلى الزمن الجديد
ص ٨١	٤ - فصل الدخول إبل الذات
ص ٩١	٥ - الدخول إلى النور
ص ١٠١	٦ - فصل الزفاف
ص ١١١	ملاك الوقت
ص ١١٣	الخارجة من الصلوات
ص ١١٧	تتقطرین علی دمی
ص ١١٩	طیف
ص ١٢٣	أنام بعینیک
ص ١٢٥	لأنك صرت ربيع حياتي

ص ١٢٩	فتاة
ص ١٣١	رِقة
ص ١٣٥	مصير
ص ١٣٧	امراة
ص ١٤١	غياب
ص ١٤٥	عينك أنتِ السماء
ص ١٤٩	الآتية من خاطر الوقت
ص ١٥٣	عينك
ص ١٥٧	صلاة
ص ١٦١	ولادة
ص ١٦٥	نبض صلاة
ص ١٦٩	ملاك الصلوات
ص ١٧٣	صوت
ص ١٧٥	حلم
ص ١٧٩	بعيدة
ص ١٨٥	إذا مسك الحزن

- ١٨٩ ص عندما تبسّم عَيْنَاكَ
- ١٩١ ص لأَيِّ أَحَبِّكَ
- ١٩٥ ص نشيد الفردوس
- ٢٦٥ ص بنفسجة الحلم
- ١٦٧ ص ١ - الغياب
- ٢٨٣ ص ٢ - اللُّمَح
- ٣ - الافتراق (أو رحيل
- ٣٠١ ص الذات الثالثة)
- ٣١٥ ص ٤ - الانكشاف
- ٣٣٧ ص ٥ - التردُّد
- ٣٦٣ ص ٦ - القرار
- ٣٧٩ ص ٧ - الآتي

